الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

مطبوعة الدعم البيداغوجي في مقياس

الفلسفة والبيوإتيقا

موجهة لطلبة السنة الثالثة ل م د فلسفة

من إعداد:

الأستاذ: حربوش العمري

السنة الجامعية: 2019-2020م

- الفلسفة وحقوق الإنسان.

المادة إ 4- الفلسفة والبيوتيقا

- تعريف البيوتيقا.
- قضايا البيوتيقا.
- البعد الفلسفي للبيوتيقا.
- أزمة العلم والفلسفة.
- أخلاقيات العلم.
- مستقبل الإنسان.

طريقة التقييم: امتحان.

المراجع: (كتب ومطبوعات، مواقع انترنت، إلخ)

- وليام، ليلى، مقدمة في علم الأخلاق، تر: علي عبد المعطي محمد، دار منشأة المعارف، الإسكندرية، 2000.
- ابن الحداد، الجوهر النفيس في سياسة الرئيس، تحقيق: رضوان السيد، دار الطليعة، بيروت، ط 1، 1983.
- أرسطو، في السياسة، تعريب أ. برباره الوسلي، اللجنة اللبنانية لترجمة الرّوائع، بيروت، ط 3، 1980.
- أرسطو، علم الأخلاق، ترجمة: أحمد لطفي السّيد، ج 1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1964.
- الجاحظ، أبوعثمان، كتاب التاج في أخلاق الملوك، تحقيق فوزي عطية، الشركة اللبنانية للكتاب، د ط.س.
- مكيافيللي، نيقولا، الأمير، تعريب: خيري حمّاد، منشورات دار الأفاق، بيروت، ط 12، 1985.
- الإدريس، علي، الإمامة عند ابن تومرت، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- أومليل، علي، السلطة الثقافية والسلطة السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1999.
- برنيري، ماريا لويزا، المدينة الفاضلة عبر التاريخ، تعريب:عطيات أبوالسعود، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998.
- جان جاك، شوفاليه، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1998.
- جان توشار وآخرون، تاريخ الفكر السياسي، تعريب علي مقلد، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1983.
- روجيس، دوبري، نقد العقل السياسي، تعريب: عفيف دمشقية، دار الآداب، بيروت، ط1، 1986.
- دنكان، جان ماري، علم السياسة، تعريب: محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط 1، 1997.
- ميخائيل، حنا، السياسة والوحي – الماوردي وما بعده، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1997.
- لبون، غوستاف، روح الاجتماع، موفم للنشر، الجزائر، ط 1، 1988.

- شاتليه، فرنسوا وآخرون، معجم المؤلفات السياسية، ترجمة محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1997.

****

وحدة التعليم: الاستكشافية

المادة: مخاطر المخدرات

الرصيد: 1

المعامل: 1

أهداف التعليم:

(ذكر ما يفترض على الطالب اكتسابه من مؤهلات بعد نجاحه في هذه المادة، في ثلاثة أسطر على الأكثر)

- التعرف على مخاطر تعاطي والإدمان على المخدرات.

المعارف المسبقة المطلوبة:

(وصف مختصر للمعرفة المطلوبة والتي تُمكن الطالب من مواصلة هذا التعليم، سطرين على الأكثر)

- ثقافة دينية.
- ثقافة عامة.

محتوى المادة:

- تعريف المخدرات.
- ظاهرة تعاطي المخدرات في المجتمع.
- الإدمان وانعكاساته على الفرد والمجتمع.
- محاربة المخدرات.

طريقة التقييم: امتحان

المراجع: (كتب ومطبوعات، مواقع انترنت، إلخ)

http://www.bib-alex.com/
http://download-human-development-pdf-ebooks.com/104-1-library-books
http://www.ta5atub.com/t416-topic
http://www.goodreads.com/shelf/show/philosophy
http://www.amazon.com/Philosophy-Book
http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_books_about_philosophy
https://www.academia.edu/

****

المؤسسة:
السنة الجامعية: 2014 - 2015

عنوان الليسانس: فلسفة عامة

التعريف بالمقياس:

هذه المحاضرات في مقياس فلسفة العلوم مشكلات موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر فلسفة تطبيقية – فلسفة عامة ل م د ، وهو مقياس سداسي. الهدف منه، تمكين الطلبة من إدراك قيمة الفلسفة اليوم من خلال مشاركتها في مختلف النقاشات حول القضايا العلمية الراهنية باعتبارها بحث في المعرفة أي أبستمولوجيا (فلسفة العلوم)، وبالتالي المسائلة عن المعيار المعرفي والمنطقي (المنهجي) للعلوم بمختلف شعبها، من جهة، ومن جهة اخرى، باعتبارها معنية بالمسائلة عن قيمة هذه العلوم.

تأتي هذه المحاضرات لتوضيح طبيعة هذه النقاشات حول العلوم عل اختلاف طبيعتها وموضوعاتها ومناهجها. وكون محاور المقياس تشير إلى عموم هذه المسائل، فإن استاذ هذا المقياس مطالب بتفصيلها، انطلاقا من تخصصه، واهتماماته بهذا المبحث الراهني، لذلك سوف تجدون أغلب المراجع باللغة الأجنبية، وهذا ليس تحيزا للّغة، بل هي ضرورة ترجع إلى تقدم المتحد العلمي الغربي في هذا المجال.

تفاصيل المحاور

۞المحور الأول: تعريف البيوإتيقا

– البيوإتيقا: المفهوم والأصول التاريخية:

عناصر المحور:

– البيوإتيقا لغة وإصطلاحا

– أسباب نشأة المصطلح:

1– فلسفة الأنوار وتجسيدها لفكرة حقوق الإنسان

2– الفلسفة البراغماتية

3– معاهدة نورمنبورغ: قانون نورانبرغ Code de Nuremberg

– الولايات المتحدة الأمريكية موطن النشأة:

– البيوإتيقا كمفهوم أخلاقي جديد:

– التّمييز بين ألديونطولوجيا Deontology و البيوإتيقا Bioéthique.

– مراجع المحور

۞المحور الثاني: قضايا البيوإتيقا

عناصر المحور:

– طبيعة النقاش البيوإطيقي

– مبادئ النقاش البيوإطيقي

– خروقات (قضايا) البيولوجيا تدعو إلى الشك:

1– التجريب على الإنسان 2– الإخصاب الصناعي 3– الإجهاض 4– زرعالعضاء

5– الموت الرحيم 6– الإستنساخ

– البيإتيقا كمقاربة ثلاثية البعاد

– مجالات البيوإتيقا

مراجع المحور

۞المحور الثالث: البعد الفلسفي للبيوإطيقا

– مهمة الفلسفة اليوم

– من الأخلاق إلى الإطيقا

– معنى البيوإتيقا

– البيوإتيقا رهان الفلسفة المستقبلية:

– مراجع المحور

۞المحور الرابع: أزمة العلم والفلسفة

عناصر المحاضرة:

–ما قبل الأزمة: عصر النهضة والأنوار

– الأزمة

– أزمة العلوم الطبيعية

– أزمة الرياضيات والمنطق

– أزمة الفلسفة

– أزمة المنهج

مراجع المحور

۞المحور الخامس: أخلاقيات العلم

عناصر المحور:

- المسؤولية العلمية
- فصل العلم عن التقنية = فصل العلم عن الأخلاق = نفي المسؤولية الأخلاقية
- إطيقا العلوم
- العلم مع الضمير (الوعي) Science avec conscience:
- المبررات

مراجع المحور

۞المحور السادس: مستقبل الإنسان

عناصر المحور:

- تمهيد
- المفاهيم:

أ)ما بعد الإنساني– ب) الغاية – ج) الإنسان الآلة

- الثورات الثلاث المستقبلية GNR
- نتائج وأخطار الثورات المستقبلية
- المعارضون

مراجع المحور

۞البيوإتيقا و الكورونا

❖المحور الأول: تعريف البيوإتيقا

– البيوإتيقا: المفهوم والأصول التاريخية:

عناصر المحور:

– البيوإتيقا لغة وإصطلاحا

– أسباب نشأة المصطلح:

1– فلسفة الأنوار وتجسيدها لفكرة حقوق الإنسان

2– الفلسفة البراغماتية

3– معاهدة نورمنبورغ: قانون نورانبرغ Code de Nuremberg

– الولايات المتحدة الأمريكية موطن النشأة:

– البيوإتيقا كمفهوم أخلاقي جديد:

– التّمييز بين ألديونطولوجيا Deontology و البيوإتيقا Bioéthique.

– مراجع المحور

تمهيد: إن أبرز التغيرات التي شهدها القرن العشرين وأكثرها تأثيرا على الفكر الإنساني هو تغيّر وجهة نظرنا بخصوص الطبيعة، والحياة، والإنسان، ولا شك في أن المتسبب في ذلك هو الثورات العلمية التكنولوجية (التطور التكنولوجي)، والذي كان لها الأثر العميق في تغيير بنية حضارة الإنسان وأسس حياته كلها. ولعل أبرز هذه الميادين البيولوجيا والطب لما لهما من قيمة في حياة الإنسان، ولمّا كانت الحياة هي المقصودة بالبحث، وفي الوقت نفسه محل اهتمام الفلاسفة، كان لا بد من النظر في قيمة هذه البحوث من جهة معيارها الأخلاقي، لأن مهما كان استعمالنا للإنسان كوسيلة في التجارب العلمية، يبقى ذلك الكائن متميز عن الحيوان وعن الجماد، على الأقل في بعده الأخلاقي.

من هنا كانت الحاجة إلى مسائلة العلم أخلاقيا في تعامله مع الإنسان، وقد نتج عن ذلك ضرورة صنع مفاهيم جديدة كقوالب تحمل هذه الأفكار وهذه المسائلات من هذه المفاهيم "البيوإتيقا" La bioéthique ، الأخلاق التطبيقية L'éthique appliquée وغيها من المفاهيم التي نحاول النظر فيها في هذا المحور.

البيوإتيقا لغة: تتألف كلمة بيوإتيقا من كلمتين يونانيتينbios-éthos : "بيوس Bios" ومعناه الحياة وفق الدلالة اليونانية، و "إتيقا éthos " وهي الأخلاق وفق الدلالة اللغوية. يرجع أول استعمال لكلمة بيوإتيقا Bioéthique إلى العالم البيولوجي الأمريكي فان بوتر رينسلاير Van Potter Rensselaer (1911- 2001) وذلك خلال سنة 1970 -1971 عندما نشر مقالا بعنوان: البيوإتيقا، علم البقاء على قيد الحياة.(Bioethics, the science of survival) قبل أن يعيد نشره في كتاب له ظهر عام 1971 يحمل عنوان: البيوإتيقا: جسر نحو المستقبلBioethics : Bridge to the future

إن الهدف من هذا الكتاب هو المساهمة في مناقشة مستقبل الحي Le vivant مجملا ومستقبل الإنسان على وجه الخصوص، ويشير مصطلح البيوإتيقا إجمالا إلى التفكير المهيمن منذ أكثر من عشرين سنة، على مختلف الحقول المعرفية، حول المسائل المطروحة التي أفرزها التطور العلمي البيولوجي والطبي (البيو– طبي). لقد لاقت اهتماما من العديد من الأطر الحياتية من رجال الدين إلى رجال

القانون والفلاسفة والسياسيون والاجتماعيون وغيرهم دفاعا عن الإنسان وعن أبعاده البيولوجية الطبيعية، والنفسية، والاجتماعية، والأخلاقية.

انطلاقا من مضمون الكلمة (بيوإتيقا)، بالرغم من حداثته، إلا أنه يتصل بالعصور القديمة، ويفهم من هذا الكلام ضمنيا أن مصطلح البيوإتيقا ليس ابتكارا خاصا ببوتر رينسلاير، و إنما تبلور خلال مراحل مختلفة من عمر الإنسان من خلال ما اصطلح عليه بأخلاقيات الطب La déontologie médicale

التي كانت تحاول ضبط العلاقة بين الطبيب والمريض في المقام الأول. ومثل ذلك ما جاء في قسم أبوقراط Le Serment d'Hippocrate إن هذه الآداب لا تقتصر فقط على استعمال الأطباء معارفهم وصلاحياتهم لعلاج المرضى فحسب، ولكنفي الوقت نفسه، عدم إلحاق الضرر بهم من أجل الحفاظ على الحياة، مع ضمان عدم إفشاء السر وضرورة المحافظة على خصوصية المريض. لذلك ظلت هذه المبادئ الأخلاقية مرجعا أساسيا للبيوإتيقا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية. بعدها، أصبح من الواضح أن الأخلاقيات الطبية القديمة لم تكن كافية لمواجهة التحديات المعاصرة. ربما هذا يدفعنا إلى الحديث عن أصوله التاريخية.

أسباب نشأة المصطلح:

مع الانتقال والتقدم السريع الحاصل خاصة وبصورة واضحة في المجال البيولوجي، استطاع الإنسان أن يعبر إلى وضعيات أخرى غير التي كان عليها، تميّزها الثورات والصراعات والبراديغمات المتضاربة فيما بينها، وأفرزت بدورها مفاهيم جديدة خادمة لعصر ما يعرف باسم الحداثة.

لقد أُعجب الإنسان وانبهر، لهذا التطور السريع الذي فاق كل التوقعات، مما شكل لديه نوعين من الأخلاق أخلاق الثقة وأخلاق الخوف، **الأولى**: أدت إلى تقوية ما يعقده الناس من آمال في الطب والعلاج إنقاذ العديد من الأرواح البشرية مما رفع ثقتهم في هذا التقدم العلمي التكنولوجي. **الثانية**: الخوف من أن يتحول ي الإنسان إلى فأر للتجارب داخل المخابر العلمية مما يمس بأولى المبادئ التي لا يجب تجاوزها مبدأ الحياة، ومبدأ الكرامة الإنسانية. وعلى هذا الأساس،

ظهر الاهتمام بالمشاكل الأخلاقية التي أصبحت تثيرها بعض الممارسة، والتطبيقات العلمية البيولوجية والطبية على وجه الخصوص في الوقت الراهن، وامتدت إلى غيرها من الميادين العلمية.

1- فلسفة الأنوار و تجسيدها لفكرة حقوق الإنسان:

إن الفكر الأنواري كان له دخل كبير في نشأة الفكر البيوإتيقي وذلك من خلال إعلاء قيمة العقل كوسيلة فعالة للبحث والاستكشاف من جانب، وكحل للمشاكل الإنسانية من جانب آخر، مع استبعاد لوسائل أخرى سادت قبل ذلك كاللاهوت أي السيطرة الدينية الكنسية على أفكار ومعتقدات الأفراد. كل هذا حاول الإنسان أن يتجاوزه و يتعداه إلى مستقبل أفضل وأضمن لمسايرة أفكارهم، وآرائهم، ومبادئهم المعرفية التي تستند إلى الحرية الفكرية لا إلى السيطرة والإجحاف المعرفي. فمع هاته الفكرة، كان هناك رفض كلي للدين كمصدر للأخلاق، بل إعطاء الأولوية للعقل الإنساني في الإبداع وتحديد القيم الأخلاقية الملائمة لكل عصر و تزامنا مع ثوراته ومستجداته العلمية.

لعصر الأنوار الفلسفي فكرة تفاؤلية تتطلع إلى مستقبل أفضل للإنسانية، وتدعو إلى تحرير الإنسان من كل أشكال التحجر المعرفي أو السيطرة الكنسية على الأفكار العلمية للأفراد التي تقف كحاجز يمنع الذات الإنسانية والغير من أن يحيا حياة أفضل. كما لا يجب أن ننكر أن العصر الفلسفي الأنواري كان له دخل كبير في ظهور وتشكل فكرة حقوق الإنسان والتي نجدها حضارة وبقوة في الفكر البيوإتيقي. هذا الأخير وبسعيه نحو فكرة حقوق الإنسان، حاول تجسيد كل من الحرية والمساواة، والإخاء، والعدالة، فالإعلان العالمي عن حقوق الإنسان سنة 1948 بمثابة الميلاد الفعلي لهذه الحقوق. فمن الاهتمام بحقوق المواطنين بشكل عام، تم الانتقال إلى الاهتمام بحقوق العمال والفلاحين، بعدها بحقوق السجناء، وبعدها بحقوق النساء والأطفال. حتى تطور هذا الأخير إلى الاهتمام بالميادين الطبية والبيولوجية. ويرى البعض أن فكرة حقوق الإنسان هي التي جعلت رواد الفكر البيوإتيقي ينقلون الاهتمام من حقوق واجبات الأطباء إلى الاهتمام بحقوق المرضى، والأجنة

والأشخاص الذين تجرى عليهم التجارب، ثم الاهتمام بحقوق التجارب تحت عنوان "القداسة البشرية".

2– الفلسفة البراغماتية:

إن الحديث عن البيوإتيقا يدفعنا إلى التكلم عن منابعها و جذورها المشتقاة منها. فتكون بذلك البيوإتيقا إحدى إفرازات الفلسفة البراغماتية الأمريكية المعاصرة. و يظهر هذا التأثير البراغماتي بصورة واضحة في الفكر الأخلاقي المعاصر الذي يحمل سمة التفكير المصلحي النفعي التوافقي. فالبيوإتيقا ترتبط بواقع الطب والبيولوجيا، وما ينتج عنهما من مشاكل ومعضلات أخلاقية وقانونية، ودينية واجتماعية.

فهو، إذن، ليس جانبا نظريا يستند إلى ما ينبغي أن يكون، وإنما ينبثق من الممارسة الطبية والبيولوجية التي لا تتوقف عن التجدد، والتقدم، والتطور، وما يضفي عليها صفة النسبية كذلك. ونجد التأثير البراغماتي في التحليل الموضوعي للمشاكل والقضايا المطروحة. وما يؤكده هو انتشار طريقة دراسة الحالات والتي اقتبست من طريقة تعامل بعض رجال الدين المسيحيين مع المؤمنين، حيث ابتدعوا قواعد أخلاقية خاصة بدراسة الحالات، والهدف منها هو التركيز على حالات خاصة ملموسة وبالتالي على المرضى، وهذا يعني، أن لكل حالة خصوصيتها. وبناء على ذلك، ينبغي البحث عن الحل الذي يلائمها.

3– معاهدة نورمنبورغ: قانون نورانبرغ Code de Nuremberg

(استمد هذا القانون من خلال محاكمات أطباء نورانبرغ (1946-1947)

وُقّعت هاته المعاهدة التاريخية بألمانيا سنة 1749 وذلك عندما قامت المحكمة بمحاكمة تجارب في مجال الطب والبيولوجيا التي أجراها بعض الأطباء الألمان باتفاق مع النظام النازي على مجموعة من الأسرى، والمساجين، والمعتقلين في المخيمات النازية خلال الحرب العالمية الثانية، والتي كان مفادها

تعرض هؤلاء الأسرى إلى إساءات بالغة بحيث جعلوا منهم فئران لتجاربهم الطبية، ما شوّه من سمعة الطب والعلوم وخرقهم لمبادئ العلم الحقيقية.

كانت هاته المعاهدة بمثابة رد فعل على هؤلاء الأطباء والبيولوجيين الهمجيين من خلال تحديدها لعشرة مبادئ خاصة بالتجارب على البشر بهدف إرشاد الأطباء في إطار عملهم العلمي مستقبلا وهي كالتالي:

1- إن الموافقة الواعية للشخص المشارك في البحث الطبي ضرورية. و هذا يعني أن الشخص المعني يجب أن يتمتع بالأهلية القانونية للموافقة: و أن يترك حرا في اتخاذ القرار بعيدا عن أي تدخل خارجي و تحت تأثير أي شكل من أشكال القوة والاحتيال والإكراه، أو الخداع...يجب أن يكون الشخص المعني على علم بمجريات التجربة التي سيخضع لها و أن يكون قادرا على تحمل نتائج قراراته...إن الالتزام والمسؤولية في تقييم الشروط التي يمنح بموجبها الشخص المعني موافقته، يقعان على عاتق الشخص الذي يباشر ويدير هذه التجارب...

2- يجب أن تكون التجربة التي أجراها الباحث قابلة لأن تؤدي إلى نتائج ناجعة ومفيدة للمجتمع يتعذر الحصول عليها بطريقة أخرى.

3- يجرى الاختبار على ضوء التجربة على الحيوان و على المعارف الحديثة للداء المدروس.

4- يجب أن تجرى التجربة بطريقة تجنب أي معاناة و أي ضرر بدني أو عقلي.

5- محظورة كل تجربة قد تؤدي إلى الوفاة، إلا إذا كان الأطباء طرفا في الاختبار.

6- يجب أن لا يكون مستوى المخاطر يفوق أهمية المشكلة التي يراد حلها.

7- يجب اتخاذ كل الترتيبات و الوسائل المتاحة من أجل حماية الفرد العيّنة ضد أي احتمال إصابته بجرح أو عجز أو وفاة.

8- الأشخاص المؤهلون علميا، هم فقط من يديرون التجارب. و يشترط على كل المشرفين والمشاركين على امتداد التجربة التحلي بأعلى درجة من الكفاءة المهنية.

9- خلال إجراء التجربة، يجب أن يكون الشخص العيّنة حرا في توقيفها إذا شعر بأنه يستحيل مواصلة التجربة في ظل انهيار حالتيه البدنية و العقلية.

10- خلال إجراء التجربة، يجب أن يكون الباحث العلمي مستعدا لتوقيفها في أي لحظة...إذا تيقن بأن التجربة قد تسبب جروحا، أو عاهة، أو وفاة للشخص المجرَّب. ولأول مرة تبلور مفهوم **الجريمة ضد الإنسانية** باعتبار أن سلوك كلا الطرفين في ألمانيا النازية- العسكريين و الأطباء- كان مقصودا ولا يحمل و لا ذرة شفقة إزاء اليهود و فئة من المجتمع الألماني ممن قرر هتلر التخلص منهم لأنهم يشكلون عبئا على الدولة الألمانية اقتصاديا. وهذا يعطي الانطباع بأن الألمان لم يسبق لهم أن شرّعوا أو أسسوا لما يسمى بالأخلاق الطبية وهذا مخالف تماما لما تم العثور عليه في بعض المراجع التي تحدثت عن سبق ألمانيا إلى وضع **مبادئ توجيهية** للممارسة الطبية.

تعد الوثيقة التي صدرت عن وزارة الداخلية الألمانية عام 1931 سابقة لأوانها في موضوع القضايا الأخلاقية في البحث الطبي حيث تضمنت مسائل الموافقة المسبقة، واستغلال القصر والمعوزين مع إجراء تمييز بين البحث العلاجي وغير العلاجي. لكن هل نفذ ما جاء في الوثيقة؟ طبعا لا لأن العوامل السياسية حالت دون تطبيقها على أرض الواقع بسبب صعود النازية.

إن هذه المعاهدة ركزت على موضوع أساسي لا يمكن تجاهله، و هو بمثابة فحوى هاته الأخيرة ألا وهو التجارب على البشر. هل هي حق مشروع؟ أم تعد مرفوض؟ هل يحق التعدّي على المعتقلين والمساجين، والمساس بكرامتهم الإنسانية لأنهم مجرد مساجين ؟ هل التجارب العلمية منبعها الأفراد المعتقلون؟ وهل الطبيب هنا يكون متنازلا عن إنسانيته وعن معرفته بذات الغير الإنسانية وبقداستها؟ كل هاته الأسئلة وغيرها كانت محل طرح من قبل هاته المعاهدة.

وهكذا تحولت فضائع الأطباء النازيين Les nazis إلى قوانين دولية لأي إجراء تجريبي بشأن الكائن الحي. ففي الولايات المتحدة الأمريكية، حدثت هناك هزّة كبيرة كان منبعها هذا الإعلان الذي عُدّ انطلاقا من تلك الفترة نموذجا للضبط والتقنين و أن الإنسان حرّ حرية تامة، ويحث له أن يقبل أو يرفض أي علاج أو تجريب يتم عليه. فقد تم الكشف عن جملة من الفضائح في الولايات

المتحدة الأمريكية أسفرت عن وجود مجموعة من الأطباء قاموا بحقن أشخاص مسنين بخلايا سرطانية سنة 1973، وقد نوقشت هاته في مجلس النواب سنة 1973 مما أدى إلى تسليط الضوء على مسألة التجارب على البشر، والتأكيد على ما تمت إدانته في محاكمات نورمنبورغ. ومنذ ذاك الوقت، أصبحت التجارب على الإنسان سلوكا خاصا يندرج و بقوة في الجدل الأخلاقي المعاصر.

ومن بين أبرز القواعد، والقوانين، والمبادئ التي حاولت هذه المعاهدة تحقيقها، كما أن البيوإتيقا سعت لها هي ما يعرف بـ: "القبول والموافقة الواعية". بمعنى أن تكون التجارب العلمية المطبقة على المريض مقبولة من قبله أي أن يَعِي كلا من العواقب وطبيعة التجربة التي ستجرى عليه وعواقبها على حياته، وصحته، وكرامته. وقد أسفر هذه المعاهدة عن تشكيل محكمة عسكرية دولية في 08 أكتوبر 1945. وقد حُدّدت مهامها في محاكمة ومعاقبة كبار مجرمي الحرب من الدول والأعضاء، وقد صنفت ثلاثة جرائم تعاقب عليها:

– **جرائم ضد السلام**: وهي عبارة عن كل خرق للمعاهدات الدولية السابقة أو خطط ومؤامرات لتنفيذ أي من الأفعال السالفة الذكر على الإنسانية.

– **جرائم الحرب**: مثل سوء معاملة المدنيين وأسرى الحرب، ونهب الممتلكات العمومية أو الخصوصية، وتدمير المدن أو القرة بدون سابق إنذار أو مبرر.

– **الجرائم ضد الإنسانية**: وكان هذا ينص على كل ممارسات للقتل أو النفي أو الممارسات اللاإنسانية في حق المدنيين خلال أو بعد الحرب. ويندرج في إطارها أيضا الاضطهاد لأسباب سياسية، عرقية ودينية.

هذا ما قدمه "أوجين أرونينو Eugene Aroneanu" الذي كلّفته "مصالح الاستخبارات التمهيدية" لنورمنبورغ سنة 1945 بتقديم التصورات الأولى عن التصفيات العرقية التي نفّذها النازيون. حيث قال القضاة الديمقراطيون في مؤتمر لهم سنة 1947 أن: «**الحضارة المعاصرة هي حضارة حقوق الإنسان**». بمعنى لا جرائم ضد الإنسانية. وبعدما كان قديما الحماية للملك، أصبح حاليا الحماية للإنسان من طرف الدول، وكل إنتهاك لهذا المبدأ يتحول إلى جريمة في حق الإنسانية.

4- الولايات المتحدة الأمريكية موطن النشأة:

تعدّ الولايات المتحدة الأمريكية المنبت الأصلي لهذا المفهوم التطبيقي. ويكون معهد كندي للأخلاق من قد قام بحصر ميدان البيوإتيقا في المجال البيوطبي، لذلك قال عنها مدير مركز البيوإتيقا "لوري وولتزس": «**إن البيوإتيقا فرع من فروع الأخلاق التطبيقية والتي تتخذ موضوع درسها التطبيقات والتطورات التي تحدث داخل البحث البيوطبي**». ونقصد هنا أن الواقع أو الميدان التجريبي الذي يصف بميزة التطبيقية هو المجال والحد الفاصل بينها وبين ما هو نظري. فنجد للثقافة الأمريكية دخلا في ظهور و تطور هذا الفكر الأخلاقي الجديد. والمقصود هو أمريكا الشمالية بشقيها الاتحادي والكندي. فقد عرف هذا العلم هناك نجاحا باهرا، وظل حكرا على الأمريكيين والأنجلوساكسونيين قرابة عقد كامل، ولم تستطع الدول الناطقة بالفرنسية أو غيرها من اللغات أن تجاري ما حصل من تطور في تلك الحقبة.

لقد ظهر هذا المصطلح منذ أزيد من عقدين من الزمن ليدل على مجموعة من القضايا الأخلاقية التي تخص الحياة والكائن الحي. ثم اتسع مدلوله ليشمل المسائل التي تطرحها الدول في إطار العلاقة بين الإنسان وبين محيطه الطبيعي والاجتماعي. وعندما قفز علم الأحياء قفزته الجديدة في مجال المورثات؛ وظهرت تطبيقات طبية جديدة تماما تخص التحكم في الإنجاب والنسل بصفة خاصة، بدأ مصطلح البيوإتيقا ينصرف إلى هذه التطبيقات والمشاكل التي تثيرها من الناحية الأخلاقية.

انتقل هذا الاهتمام بسرعة إلى كندا تأثرا بالولايات المتحدة الأمريكية وحلّ اللاهوتيان "غي ديوران Guy Durand" و "دافيد روي David Roy" وآخرون خلال السبعينات والثمانينات من القرن الماضي محل "جيل باكوين Jules Paquin" الذي لقي مؤلفه الذي يعالج علاقة الأخلاق بالطب "Morale et Médécine" نجاحا كبيرا. فقد أسس "دافيد روي" مركز بيوإتيقا تابعا لمؤسسة الأبحاث الإكلينيكية بموريال، وأصبح مديرا لها.

وأسس "غي ديوران" مجموعة بحث ومنتدى يجمع مختلف التخصصات داخل البيوإتيقا في موريال وقام فلاسفة لاهوتيون بعمل مماثل في جامعة لافال وغيرها.

يمكن أن نقول في الأخير أنه رغم التحاق كندا بالولايات المتحدة بشكل رهيب وسريع إلا أن السبق والرّيادة والسّيادة عادت للولايات المتحدة الأمريكية.

– البيوإتيقا كمفهوم أخلاقي جديد:

تثير البيوإتيقا مسألة أخلاقيّة في شكلها الجديد، بحيث لم تعد تتعلّق بالسّؤال التقليديّ الّذي يُختَصر في سؤال الفعل وفقط أي يركّز على الجانب التّطبيقيّ البحت **ما يجب عليّ فعله؟** وإنّما تعدّاه إلى نطاق أوسع منه، وراح يبحث حول المعايير والقيم الأخلاقيّة الّتي تلازم الفعل الإنساني، خاصة حين يتعلق الأمر بالحلات الإنسا الطبيعية من الحياة، والكرامة الإنسانيّة، والحرّيّة، الوعي بالوضعية.

من هنا، فإنّ المقاربة البيوإتيقيّة يتّسع مداها لتشمل خصوصيّة الكائن الإنسانيّ وأبعاده الأنطولوجيّة (الوجودية) بما أنّها سؤال يدور حول كيف نحافظ على الحياة ونهايتها أي مسألة الحياة والموت. وهذا طبعا، مثلما ذكرنا آنفا– يولد شعورين أمل وخوف، أمل الطّبيب في التّطبيب ورغبة في إطالة حياة المريض، وتخليصه من الألم، وخوف المريض من السّيطرة وفشل التّقنيّة ممّا نتج عن هذين العنصرين مجال ثالث راح يهتمّ بالنّتائج الفعليّة المطبّقة على الإنسان فيما إذا كانت ذات ميزة أخلاقيّة تضمن كرامة الإنسان وتحترم مبدأ الحياة أو هي وفقط تهدف إلى التّطوير العلمي ولا يهمّها إذا كان مقبولا أم مرفوضا من قبل المريض.

هكذا تظهر لدينا وبصورة واضحة جدليّة كلّ من قداسة الحياة وجدليّة الصّحّة ما يُمهِّد إلى العديد من النّقاشات الإيتيقيّة في ظلّ سلطان العلم وغلبة التّقنيّة ومحور الحياة، والكرامة الإنسانية، والحرية، والوعي بالوضعية.

البيوإتيقا تؤسّس لفكر جديد فقد ركّز جلّ اهتماماته على تلك الدّراسات الحيّة البيولوجيّة الإنسانيّة الّتي جعلت من نشاط العلماء والأطباء والتّقنيّين وغيرهم من المشتغلين في مجرى الحياة الإنسانيّة مسؤوليّة أخلاقيّة تدرس كل جديد علميّ ولكن من جانب "إيتيقي" ممّا أثار تدخّل العديد من الميادين والمجالات نتيجة التّقدّم العلميّ والتّكنولوجيّ من قانون ودين وثقافة وسياسة... وكلّ هذا كان حول مشروعية إذا صحّ اعتبار الجسد الإنسانيّ مجرّد شيء وجواز المساس به أو لا، إذ يُعتَبر كلّ اعتداء وبما تحمله كلمة اعتداء من معنى على الجسد الإنساني الحيّ أو الميّت، هو اعتداء على كرامة الإنسان الّتي تعني في الفلسفة الكانطية: «**أن يتمتّع كل فرد بمعاملة تجعل منه غاية بذاته، لا مجرد وسيلة لغيره**».

ويعني هذا أنّ الإنسان ليس وسيلة للتّجريب حتّى وإن كان الهدف من ورائه هو الاكتشاف العلميّ. لذا تقتضي حرمة الشّخص الطّبيعي والحدود الأخلاقيّة والتّراتيب القانونيّة رفض الخضوع لإجراء التّجارب أو العمليّات أو التّحاليل الطّبّيّة الّتي تمسّ بسلامة الجسد.

– التّمييز بين ألديونطولوجيا Deontology و البيوإتيقا Bioéthique.

أخلاقيّات العلم هو موضوع أُثير حوله الجدل والنّقاش لكونه يحمل بين ثناياه العديد من التّساؤلات والإشكالات خاصّة الفلسفيّة منها. فعندما نقول كلمة "أخلاق" ماذا نفهم منها؟ هل تعني طريقة التعامل؟ أم تعني نقاشات حول إنتاجات السّاعة الراهنة (العلم)؟ هذا ما سمح بالتقاء بين العلم والفلسفة على مستوى الفكر والواقع متداخلين فيه كل من السّاسة وأهل الاقتصاد ورجال الأعمال والصّناع والقانونيّون وحتّى رجال الدّين والتّربويّون، وحتى الرأي العام، بهدف المعالجة الشّاملة لمعايير السّلوك العلمي وقيم الممارسة العلميّة أي أخلاقيّات البحث ونتائج المعرفة العلميّة.

لقد كان للفلسفة الحظّ وافر في اتخاذ القرار إزاء المسائل الأخلاقية الشائكة من قدُسية الحياة مرورا بحقوق الإنسان وكرامته انتهاء إلى التجريب على البشر، هذا ما عرفه الحقل البيولوجي، وهذا ما أعطى للفيلسوف أحقية ومشروعية النقاش في المسائل العلمية، وبالتالي المشاركة بشكل فعال في

مصير الحضارة الإنسانية والتي بات العلم على رأسها حاليا. ومنبع هذه المشروعية هو مباحث الفلسفة الأربع الأساسية: الوجود (الأنطولوجيا)، المعرفة (الإبستيمولوجيا)،الكونيات (الكوسمولوجيا)، والقيمة (الأكسيولوجيا)،وهذه الأخيرة أي فلسفة الأخلاق، أو علم الأخلاق، أو الأخلاقيات. نقول أنها تنطوي تحت سؤال نظريّة القيمة الأكسيولوجيا ما دامت جانبا تطبيقيا فعالا في حياة معيشية.

لا علم من غير أخلاق، هو شعار رفعت لواءاته الحضارات القديمة: الصينية، والمصرية، واليونانية، والإسلامية فرعونيّة، وُصُولا إلى حاضرنا، وبالرغم من الاختلاف في المناهج فإن هذه الحضارات فهم يصبون في نهر واحد، نهر الأخلاق. وكمثال على ذلك نذكر بعض النماذج من الضوابط التي كا على الطبيب المصري غحترامها:

على الطّبيب الكاهن أن يحافظ على النّظافة، ويغتسل بالماء مرّتين نهارا ومرّتين ليلا، ويرتدي ثيابا بيضاء، وعليه أن يقصّ شعره كلّ ثلاثة أيّام تفاديا للهوام، كما عليه أن يقصّ أظافره كذلك كلّ ثلاثة أيّام. فالطّبيب المصريّ عليه أن يسير بمقتضى الكتاب المقدّس في الطّبّ لديهم، فإن خالفه ومات المريض بسبب تلك المخالفة فإنّ عقوبته الإعدام. أمّا إذا سار على هدى معلومات الكتاب المقدّس ولا يُخالف التّعاليم، فلا عقوبة عليه حتّى وإن مات المريض. في هذا الصّدد، قال "ثيودور الصقلي": «**إنّ المصريّين كانوا يعالجون الأمراض وفقا للقواعد المقرّرة في الكتاب المقدّس، وكان على الطّبيب أن يسير بمُقتضاها وعند ذلك لا يتعرّض للمسؤولّية حتّى وإن مات المريض، ولكن إذا خالفها يُعاقَب بالإعدام**». **هذا في الحضارة المصرية. والأقدم من ذلك تلك التي اشتهر بها البابليون:**

بحيث تُعتَبر شريحة (معلقات) تحتوي على قوانين "حمورابي" البابلي (قبل 4000 سنة من عصرنا) من أقدم الشرائع. فقد اهتمّوا بالمجال الطبي فقد كان الحكيم عندهم (أي الطبيب) ينظر في بول المريض ونبضه لمعرفة مرضه، كما كانت لديهم "فارماكوبيا" مكوّنة من 250 عقارا نباتيّا و 180 عقارا من مصدر حيواني و 120 عقارا من مصدر معدني.

كذلك كان الكاهن هو الطبيب، وعلى الطبيب الكاهن أن يغتسل يوميا ويلبس ثيابا نظيفة وجميلة. وقد نظم "حمورابي" مهنة الطب في شريعته في المواد نذكر منها:

– **المادّة 218**: إذا أجرى الطّبيب عمليّة لسيّد حرّ بآلة برونزيّة و سبّب وفاته، أو إذا فتح محجر عين إنسان حرّ و سبّب فقد بصره فإنّ عقاب ذلك الطّبيب قطع يده.

– **المادّة 219**: إذا أجرى الطّبيب عمليّة لعبد وسبّب وفاته أو فقد بصره فعليه أن يعوِّض المالك بعبد مثله.

– **المادّة 220**: إذا شقّ الطبيب الورم بمبضع برونز، وعطّل عين المريض يدفع الطّبيب نصف قيمة العين فضّة.

– **المادّة 221**: إذا جبر الطّبيب عظما مكسورا لإنسان حرّ أو شفاه من مرض، فعليه أن يدفع للطّبيب خمسة عشر شياقل فضّة، فإذا كان مولى (أي عبد سابق) دفع خمسة شياقل.

– **المادّة 222**: أمّا إذا كان عبدا فيدفع عنه سيّده شيقلين فقط، وإذا تقاضى أجرا أكبر مما هو مقرّر يعاقب بالحبس. **منقول من كتاب جورج سارتون، تاريخ العلم، ج1**.

وأمّا من يُسقِط حمل امرأة، فعليه أن يدفع غرامة مالية ويُجلَد خمسين جلدة. وتُعاقب المرأة التي تُسقط حملها بنفسها بالقتل بخازوق يُنفذ في جسمها، وتُترَكُ في العراء لتنهش لحمها الوحوش. وكان الآشوريون يعاقبون المرأة التي تسبّب ضررا لخصية رجل بقطع إصبع من أصابعها، وإذا أتلفت خصيتين يقطع منها أصبعان.

– وفي القرن الخامس قبل الميلاد تحول الطب من السحر والتنجيم والتكهن، إلى علم وإلى نظريّات على يد أحد أحفاد "أسقلبيوس" وهو "أبقراط Hippocrates"

– عرف المسلمون الطّبّ بفضل بعض الشّخصيات"أبو بكر الرّزاي" أوّل من كتب كتابا مستقلاّ في آداب الطّبيب وصاحب الموسوعة الطّبّية الكبرى "الحاوي في الطّبيب" وجاء بعده "إسحاق الرّهاوي" واضع كتاب "أدب الطّبيب" الذي تُرجِم إلى الإنجليزية، وإبن سينا من خلال كتابه القانون في الطب، وإبن رشد من خلال كتابه الكليات، وغيرها من الشخصيات التي كان لها الفضل الكبير في تطوي

مهنة الطب وآدابها، والمسؤولية فيها قال "أبو داوود" في سُننه عن عمرو بن شعيب يرفعه إلى النّبيّ صلّى الله عليه و سلّم أنّه قال: ﴿**مَنْ تَطَبَّبَ وَ لم يُعْلَمْ مِنْهُ طِبٌّ فَهُوَ ضَامِنٌ**﴾ **رواه داود والنسائي**.

إن هدف الفلسفة منذ بدئها إلى عصرنا الحالي، كان الدفاع عن الإنسان وحفظ كرامته ، ما جعلها تحاول المشاركة في وضع معايير من أجل تحقيق هذه الغايات. فقبل أن تُعرّف الأخلاق بالأخلاق كانت هناك ميتا أخلاقيّات أي ما هو متعلّق بالمبادئ والأسس الأخلاقيّة الأولى.

ولما كانت الحياة أثمن شيء يمتلكه الإنسان، فقد سعى إلى محاربة كل ما يعترضها أو يفسدها كالمرض مثلا. لذلك كان الطب هو أقدم المهن، لأنه كان مصاحبا للمرض الذي وجد بوجود الإنسان. فالمرض ماهيّة قديمة الظّهور قدم الوجود الإنسانيّ. لقد أجمع الباحثون في كل زمان ومكان على شرف مهنة الطب لأن موضوعها أبدان البشر (الجسد) التي تُختص بالكرامة والقداسة على سائر الكائنات الأخرى.

فالطب يعنى بمعالجة الجسم والنفس، ويميّز الداء من الدواء. قال "التّهانوي" عن الطّبّ أنه: «**علم يُبحَث فيه عن بدن الإنسان من جهة ما يصحّ ويَمرَض لالتماس حفظ الصّحة وإزالة المرض**». إن مهنة الطب لا يمارسها إلاّ أصحابها، وليست لعامة الناس بل لخاصتهم، وقد نهى عن هذا المعلم الحكيم "أبقراط" Hippocrate حين قال: «**العمر قصير والصناعة طويلة والزمان جديد والتجربة خطر**». قاصدا بالتجربة هنا التطبيب بدون علم.

والدليل على حرص الأولين على شرف مهنة الطب وقيمة أخلاقياتها هو وضع أبوقراط لقسمه (قسم أبقراط، وقد أشرنا إليه من قبل) جرى العرف على أن يؤدّيه الطّبيب قبل أن يبدأ مزاولة المهنة. تلزم هذه الأخلاقيّات الطبيب، صفات ومواهب خاصة كالشفقة، والرحمة، والرفق بالغير، والنزاهة وحب التضحية، فضلا عن الكفاءة، وصفاء الذهن، وحد،ة الملاحظة.

لا تقتصر مزاولة مهنة الطّبّ على ما يؤديه من عمل، ولا ما يمتلكه من معرفة بخصائص الجسم البشري، فحسب، بل يتعدى إلى العمل بالواجبات والآداب ومراعاتها والإلمام بها وبالنّواحي القانونية

الّتي تحكم مزاولة المهنة، وهي الواجبات الطبيب نحو المريض ونحو المجتمع، باعتباره القدوة الحسنة في بيئته عندما يكون متحليا بهذه المبادئ الطبية، بعيدا عن الأنانية، وعقلية الاستغلال بجميع صوره لمرضاه أو لزملائه أو لتلاميذه من هذه الواجبات التي جاءت في سجل النّقابة العامّة لأطبّاء مصر نذكر بعضها:

– على الطبيب أن يراعي الأمانة والدقة في جميع تصرفاته وأن يلتزم بالسلوك القويم وأن يحافظ على كرامته وكرامة المهنة مما يشينها وفقا لما ورد في قَسَمِ الأطباء.

– لا يجوز للطبيب أن يُحرر تقريرا طبيا أو يدلي بشهادة بعيدا عما توصل إليه من خلال فحصه الشخصي للمريض.

– لا يجوز للطبيب أن يستعمل اسمه في ترويج الأدوية، أو العقاقير، أو لأي أغراض تجارية.

– لا يجوز للطبيب تطبيق طريقة جديدة للتشخيص أو العلاج إذا لم تُرخص بها الجهات الصحية المختصة.

أما واجباته نحو المرضى:

– يجب على الطبيب أن يعمل على تخفيف آلامهم ويُحسِن معاملتهم وأن يساوي بينهم في الرعاية دون تمييز.

– على الطبيب أن يُوفر لمريضه المعلومات المتعلقة بحالته المرضية بطريقة مُبسطة ومفهومة.

– يجوز للطبيب لأسباب إنسانية عدم اطْلاع المريض على عواقب المرض الخطيرة، وعليه أن يُبْلِغ أهل المريض بطريقة إنسانية لائقة.

هذا ما جعل مهنة الأخلاقيّات الطبية تهتم بكلّ جوانب السلوك البشري وبأخذ القرار الصائب ما سمح لها بأن تكون ميدانا واسعا ذا فروع كثيرة وأقسام متعدّدة في وقتنا الحالي أو في مطلع القرن التاسع عشر. في بداية القرن العشرين، وجدت الأخلاق الطبية نفسها على علاقة وثيقة بشبيهتها البيوإتيقا التي تعني كل القضايا المتعلقة بالمواضيع الأخلاقية التي لها صلة بالعلوم البيولوجية بصفة أعم والفرق بين البيوإتيقا Bioéthique وأخلاقيات أو آداب الطب الديأونطولوجيا Déontologie أن

الأولى: لا تتطلب الاعتراف ببعض القيم التقليدية التي كوّنت أساسا الأخلاق الطبية، بل تستند إلى مستجدات الوسائل ومستحدثاتها، وقد اشتملت على الموارد الطبية المتنوعة كالتشريح، والإخصاب الاصطناعيّ، والاستنساخ، وتحديد النّسل وغيرها من التقنيات، ما جعل منها (البيوإتيقا) تحمل عنوان فقه **نقاشات** الحياة المعاصرة.

إن الهدف من هذه النقاشات في مجال البيوإتيقا هو حفظ كرامة الإنسان ومنع التجريب عليه تحت أي مسمى علمي كان إلا إذا كان بإرادته الحرة. وبالتالي فإن جوهر، وغاية كل الأخلاقيات واحد، أمّا العارض الذي يطرأ عليها فهو يصيب أشكال الخُلُق الفرعية أو التطبيبقية.

لقد اشتغل الفلاسفة على المواضيع الإبستمولوجية، وكأن العلوم بدت بالنسبة لهم وكأنها الموضوعات الأجدر بالنشاط الفلسفيّ الجاد. هذا ما سمح للعديد من الفلاسفة والعلماء المعاصرين بالعودة إلى التاريخ العلمي الحضاري البيولوجي لمعرفة مصدر فكرة الأخلاق، وقد نجم عن ذلك تفرع مصطلح الأخلاق إلى شطرين: أخلاقٌ عرفت بـ "ألديأنطولوجيا" (أخلاقيات مهنة الطب) و"البيوإتيقا" (أخلاق حياتية). وهناك فرق شاسع بين كلا المفهومين نُبرِزه في النقاط التالية:

– الديونطولوجيا:

– ترتبط بمهنة الطب والطب يرتبط بالمرض والمرض قديم قدم الوجود الإنساني.

– تُوضح لنا أخلاقيات التعامل داخل الميدان الطبي وعلاقة كل من الطبيب بالمريض، وبزملائه، وبمهنته.

– هي عبارة عن أحكام ونواهي وأوامر جاءت بحفظ حياة الكائن الحي، يميل إلى كونها قوانين قد تتحول إلى الطابع العقابي.

– يجب على أيّ شخص يُزاول مهنة الطب أن يُدلي بالقَسَم حتى يُحقق أخلاقيات هذه المهنة.

– البيوإتيقا:

– ترتبط بالفعل الإنساني في مجال التقنيات البيولوجية والطبّية.

– تقييم أخلاقي للمعارف، وللتطبيقات العلمية خاصة منها في مجال العلوم البيولوجيّة والطبية.

– هي أخلاق حياتية معيشية تسعى لحفظ الحياة في جميع أبعادها، النفسية، البيولوجية، الاجتماعية، البيئية، والأخلاقية من الكرامة الإنسانية والحرية وغيرها من القيم.

– مجموعة آراء ونقاشات حول قيم وسياقات العلم الراهنة.

نخلص إلى القول بأن، بأن البيوإتيقا، سواء كمفهوم، أو كمجال بحث، أو وسيلة تقييم، أو جزء من الإبستيمولوجيا ببعض المعاني، فهي لم تظهر من العدم، وهذا دليل على أن الإنسان كان ولا يزال يدافع عن طبيعته البشرية من حياة، وحرية، وكرامة وغيرها من الصفات التي تعطي له مشروعية احتلال المرتبة الأول في سلم الكائنات الحية، وبالتالي تميزه عن غيره بالوعي والمسؤولية. ويمكن القول بشل عام أن:

– البيوإتيقا حتى و إن كان لفظا معاصر الظهور إلا أنه يمتلك جذورا راجعة إلى الحضارات والعصور السالفة ما ساعد على ظهورها آنيا.

– البيوإتيقا لم تبق محبوسة داخل سؤال الفعل فقط: (**ماذا يجب علي أن أفعل؟**) وإنما تجاوزته وأصبحت في نقاشات المعايير والقيم الأخلاقية الحاضرة **كالكرامة الإنسانية، الحرية، المسؤولية وغيرها من الأبعاد الإنسانية.**

– حاولت البيوإتيقا إعطاء الكائن الحي حرمته وقداسته في ظل نفوذ التقنية داخل أواسط المجتمعات.

– كما حاولت تصوير كيفية بناء الأخلاق الإنسانية وفق معايير عالمية.

مراجع المحور:

- محمد جديدي: البيوإتيقا مقاربة علمانية، مؤسسة دراسات و أبحاث، د. ط، الجزائر، 2015.

- محمد عابد الجابري : قضايا في الفكر الغربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 3، 2008.

- إمام عبد الفتاح إمام: الأخلاق والسياسة، دراسة في فلسفة الحكم، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2002.

- جاكلين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، تر: عادل العوا، عويدات للنشر و الطباعة، ط 01، بيروت، لبنان، 2001.

- إدريس هاني: أخلاقنا في الحاجة إلى فلسفة أخلاقية بديلة، مكتبة مؤمن قريش، ط 01، بيروت، لبنان، 2009.

- عمر بوفتاس: البيوإتيقا: الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا، د. ط، أفريقيا الشرق، المغرب، 2011.

- ديفيد رزنيك: أخلاقيّات العلم، تر: عبد النّور عبد المنعم، مراجعة: يمنى طريف خولي، عالم المعرفة، الكويت، 2005.

- أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفيّة، الجزء 01، منشورات عويدات، ط 02، بيروت، باريس، 2001.

- ويل ديورانت: قصّة الحضارة، دون دار النّشر، ط 02، المجلّد الرابع.

- أبو بكر محمّد بن زكريّا الرّازي: أخلاق الطّبيب، تحقيق: عبد اللّطيف محمد العبد، مكتبة دار التّراث، ط 01، القاهرة، مصر، 1977.

- إدريس هافي: أخلاقنا في الحاجة إلى فلسفة أخلاق بديلة، مكتبة مؤمن قريش، ط 1، بيروت، 2009.

- جورج سارتون، تاريخ العلم، ج1 .

محمد نزار خوام وزملاؤه: تاريخ العلاج والدّواء في العصور القديمة، د. ط،

- Raoul Vaneigem, Ni pardon ni talion(La question de l'impureté dans les crimes contre l'humanité), Edition, La Découverte, Paris, France, 1961.

- Guy Durand, La bioéthique(Nature, Principe, Enjeux), Les éditions du cerf, France? 1989.

❖**المحور الثاني:** **قضايا البيوإتيقا**

عناصر المحور:

– طبيعة النقاش البيوإطيقي

– مبادئ النقاش البيوإطيقي

– خروقات (قضايا) البيولوجيا تدعو إلى الشك:

1– التجريب على الإنسان

2– الإخصاب الصناعي

3– الإجهاض

4– زرعالعضاء

5– الموت الرحيم

6– الإستنساخ

– البيإتيقا كمقاربة ثلاثية البعاد

– مجالات البيوإتيقا

– مراجع المحور

تمهيد: يعتبر مجال البيوإتيقا مجال نقاش إتيقي (أخلاقي) بين مختلف الشرائح الاجتماعية، حول المسائل التي أثيرت بعد التطورات الحاصلة في مجال العلوم البيولوجية والطبية، نتيجة التطبيقات التي أظهرت بعض التجاوزات. وهذه المحاضرة نحاول من خلالها التعرف على هذه المسائل، أو القضايا، على الأقل البعض منها، وكذا محاولة بيان طبيعة هذا النقاش، وحدوده، وممكن التعرض إلى بعض المقترحات، أو ما توصلت إليه هذه النقاشات. و منه يمكن الإجابة عن بعض الأسئلة مثل: هل المسألة الحقيقية التي يطرحها الكائن الحي أو الحياة تنتمي للمباحث الأخلاقية؟ ما هو الموقف المتخذ في هذه الحالة؟ هل يجب وضع حدود علينا احترامها؟ ما هو الخطر؟ وإلى أي حدود يمكن الذهاب ؟

لا شك أن هذه التساؤلات تتجاوز الإطار العلمي التجريبي، وهذا ما يبرر أهمية التقييم الأخلاقي للطب وعلوم الحياة Bioéthique لأنه وحسب نظرتنا فإن موضوع الكائن الحي من المباحث الفلسفية التي كانت دوما تضعه في صميم اهتماماتها وتحليلاتها.

من الصعب حصر مواضيع البيوإتيقا أو التغاضي عن قضاياها. فهي تتخذ من علوم الحياة مرجعية لها بدءا من الحياة النباتية وصولا إلى الحياة الإنسانية أي مجال علم الطب والصحة بمعانيه الجمة المتعددة و المتباينة. رغم هذا إلا أن النقاش حول القضايا التي تعالجها البيوإتيقا لا يزال مستمرا، ولكن هناك مواضيع حولها إجماع من طرف الباحثين. وقد قسّمها العالم اللاهوتي الكندي Guy Durandإلى 03 أقسام:

أ- مسائل النواة المركزية: وتتضمن المواضيع التالية مثل: الإجهاض- موضوع الموت الرحيم أو القتل الرحيم – الإنجاب

ب- المسائل لسيقة بالنواة المركزية:

منع الحمل ووسائله – التحكم في الولادات- الحروب والأبحاث حول الأسلحة البيولوجية والكيميائية- التعذيب والحكم بالإعدام – الأبحاث على الحيوانات- علم البيئة. [1]

المسائل القريبة من النواة المركزية:

[1] عمر بوفتاس: البيواتيقا: الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا، نفس المرجع، ص 26.

- علاقة الأخلاقيات بالقانون و حقوق الإنسان و علاقة الأخلاقيات بالعلم التكنولوجي

- تصور الصحة و المرض، دلالات الجسم البشري، دلالات الطب و الانجاب.

نخلص إلى القول بأن الخوض في مثل هذه المواضيع ليس بالأمر هين لما يترتب عليه من مسؤوليات، لأن الميدان الذي تشترك في بلورته عدة تخصصات غالبا ما يكون متشعبا يتطلب من الباحث أن يكون عالما متخصصا وفي حالة البيوإتيقا، يكون متخصص في العلوم البيولوجية والطبية على وجه الخصوص، ويكون فيلسوفا ولما لا يكون متخصصا في فلسفة العلوم، كما يكون رجل دين له إحاطة بالموضوعات العلمية، و رجل قانون في آن واحد. ولما تعذر إجتماع هذه التخصصات في بيوإتيقي Bioéthicien واحد كان من الضروري أن يتم النقاش بين أصحاب هذه التخصصات في إطار ما يسمى اليوم باللجان الإتيقية والبيوإتيقية Comité d'éthique et de bioéthique هذا السبب نجد إشارات - تقريبا في كل المراجع أو على الأقل المتوفرة التي تناولت موضوع البيوإتيقا- إلى الإقرار بصعوبة هذا اللون الجديد من المعرفة خصوصا إذا نُظر إليه من زاوية التطور السريع الذي يشهده المجال التكنو- علمي.

بالرغم من تعقيد وتشعب العلوم و تطوها السريع، فإن البيوإتيقا لا تزال تستقطب أذهان العلماء والمفكرين على اختلاف تخصصاتهم.

- طبيعة النقاش البيوإطيقي:

إذا سلمنا مبدئيا أن النقاش البيوإطيقي يجمع مختلف الشرائح الاجتماعية، التي تشكل اللجان اللإطيقية والبيوإطيقية، فإننا نقر ضمنيا أن طبيعة النقاش في جوهره:

- إطيقي Éthique، أي أخلاقي بالدرجة الأولى، لأنه من دون شك يحاول، من جهة إثارة مشكلة إطيقية (أخلاقية)، ومن جهة أخرى، يحاول أن يسترجع البعد المنسي، ومسكوت عنه، وهو البعد القيمي الذي تتصف به نتائج التطبيقات العلمية البيولوجية و الطبية.

– علمي Scientifique واقعي، لأنه يحاول أن يظهر بعض الحدود التي لا يجب تجاوزها، لكي لا تتحول من نعمة إلى نقمة على الإنسان.

من خلال ما سبق، يمكن أن نستنتج، أن النقاش الإطيقي يدور حول القيم الإنسانية (الحرية، الكرامة، الحياة، الاحترام، الإنسانية...)، التي تم تجاوزها وإهمالها خلال الفعل العلمي L'acte scientifique. هذه القيم هي في الأصل أخلاقية Morales ، لكن اتساقها (ارتباطها) بالفعل العلمي وبالواقع، جعل منها متعددة الأبعاد (علمية، فلسفية، دينية، نفسية، اجتماعية، اقتصادية، سياسية...). ومنه فإن النقاش حول القضايا الإطيقية، يشارك فيه العلماء، خاصة منهم البيولوجيين، والأطباء، والفلاسفة، والمتدينين، وعلماء النفس، وعلماء الاجتماع، السياسيون، والحقوقيون، وغيرهم. ذلك لأن النتائج السلبية للتطبيقات العلمية، بالرغم من أنها بيولوجية –طبية، إلاّ أنها تمس كل أبعاد الإنسان سلبا.

فإذا كانت البيوإتيقا قد ظهرت في **أول الأمر**، كموقع اجتمع فيه العلماء ورجال الدين،و رجال القانون فإنها سرعان ما تحولت إلى مؤسسة تهم كذلك الفلاسفة .وهذا يؤدي إلى التأثير في طريقة التعامل مع القضايا المختلف فيها، في صورتين .الأولى أهمية وأولوية التفكير الموضوعي والإستنتاجي في حل الخلافات .أما **الدافع الثاني**:هنا يتعلق بالطبيعة الشكية التي تميز البيوإتيقا. إن مشاركة الفلاسفة يسمح من دون شك لهذه الأخيرة من إدراك هدفها الذي كانت تصبو إليه منذ البداية ولم يكن في مقدورها التعبير عنه بوضوح، وهو أنها (أي البيوإتيقا)، نشأت من رفضها للأخلاق الدينية التعصبية.

لقد كتب الفيلسوف الأمريكي دانيال كلهان Daniel Callahan (1930-2019) سنة 1993 يقول: "أول شيء يجب على كل شخص يشارك في البيوإتيقا هو وضع الدين جانبا" وهذا ما يبرز من دون شك اختلاف مفهوم البيوإتيقا عن مفهوم الدين.

– مبادئ النقاش البيوإطيقي:

يبدو أن الكل متفق على أن البحوث العلمية خاصة منها البيولوجية والطبية، غير ممكنة من دون تجارب، حتى لو كانت على الإنسان نفسه، أو على الحيوان، لكن في المقابل، علينا الاحتفاظ بمبدأين أساسيين، هما احترام الإنسان، واحترام حياته. بل الاثنين معا،أي حماية الحياة الإنسانية La préservation de la vie humaine لأن البيولوجيا تتقدم بخطى عملاقة وهي تحطم في طريقها، آخر ما بنته الأخلاق والقوانين. علينا في هذه الحالة تحذيرها من تدخلاتها السلبية. وهذه إشارة واضحة حول حاجة البيولوجيا إلى وجود ضابط أخلاقي.

في البداية ينبغي الإشارة إلى أن هناك مبدآن لا يقبلان النقاش في نظر الفيلسوف (بعد النظر في مشروعية التفلسف في قضايا البيوإتيقا):

– أولا: أن نمنع تجريب الإنسان على الإنسان، وحمايته من كل ما يمكن أن يتلف أساسه البيولوجي، حتى في حالة التجارب من أجل أهداف علمية، أو لأغراض علاجية، وذلك بالدفاع عنه ضد كل المخاطر التي تهدده، خاصة التي تتعلق بالتجارب المباشرة عليه. والمقصود هنا بالأساس البيولوجي، هو تركيبته الجينية الطبيعية، وتوازنه العضوي، وطبيعته البشرية (مثل البحث في مجال الجينوم Génome).

– ثانيا: علينا أن نحافظ على إرث الحياة، ورفض كل ما من شأنه أن ينقص من قيمتها. والأكثر من ذلك حماية الكائنات الحية من حيوانات ونباتات مهددة، وعدم إتلافها من غير فائدة باختصار، حماية الإنسان وحماية مصلحته. و بعبارة أخرى، حماية الكائن الحي خاصة الإنسان والطبيعة. فحماية الحياة الإنسانية لا تكون إلا في الالتقاء لهذين الشرطين .في الوقت نفسه، شخصية الموضوع، وتوازنه البيولوجي الجوهري.

وهنا نطرح السؤال الآتي :**هل يتعلق الأمر، في هذه الحالة، بتحريم ومنع كل التجارب؟**

لا نقصد من هذا السؤال، محاكمة البيولوجي المخبري، بل القصد منه هو إيجاد الحلول المناسبة لتفادي التجريب المباشر على الإنسان وبالتالي تعريض حياته للخطر. لذلك نجد من الحلول المقترحة علميا، وأخلاقيا:

- التجريب على الحيوان (كالقردة) أولا، ثم المرور إلى الإنسان.

- عدم إعادة بناء ما أعطتنا إياه الطبيعة، مثلا لا نبحث عن خلق إنسان كامل متفوق، مادامت الطبيعة (ونحن نقول ما دام الله قد وهب للبعض منا هذا التفوق).

- تفادي التوغل في حرم الحياة، أي باطنها، والاكتفاء بإخراج الباطن إلى الظاهر الذي يحمل في أغلب الأحيان دلالة على كل ما يحتويه الباطن، أو كما عبر عن ذلك "داغوني"، في نظره، أن الأهم بالنسبة للبيولوجي هو تعلم كيفية إخراج الباطن إلى الظاهر. ومعنى ذلك الاكتفاء بملاحظة الظاهرة أي الأعراض الخارجية التي تدل، مثلا، على وجود مرض.

- خروقات (قضايا) البيولوجيا تدعو إلى الشك:

1) التجريب على الإنسان:

هذه الاحتياطات التي يبديها النقاش، وهذه الملاحظات لها ما يبررها من الناحية الواقعية (أي واقع البحوث العلمية)، الذي يدل على محاولة استئجار العلماء للأخلاق وللواجبات، التي لا يحترمونها، بل يحترمون ويمجدون المعايير التي لا تضايقهم. الدليل: هو التتبع التاريخي لتطور البيولوجيا، في أول الأمر كان هدفها (فسيولوجي) أي دراسة وظائف الأعضاء، ثم انتقالها إلى معرفة التحكم في الخلايا، وتكون بذلك قد دخل في خبايا الجنس والتكاثر، إنها لا تكتفي بملاحظتها فحسب، بل اكتسبت القدرة على إحداثها وقت الحاجة، مما دفع الكثير من المهتمين بالإنسان وحقوقه، إلى الضرورة إعادة مزاوجة الأخلاق والبيولوجيا.

ومنهم الفلاسفة، الذين لا يستطيعون حل هذا المشكل فحسب، بل يمكنهم المشاركة في تشكيل الوعي حول ما توصلت إليه العلوم من نتائج باهرة،. فالأمر يتعلق بوضع حد والتشكيك في بعض المحاولات التي تهدف إلى الخرق والتعدي على الحياة، والأهم من ذلك تحديد المسؤوليات (يمكن الرجوع إلى هانس جوناس) في الحقيقة، أن الآثار الإيجابية التي نجنيها بسرعة، عاجلا أم آجلا تتحول إلى أخطار، أو كما يعتقد الفيلسوف "داغوني". ومن الأمثلة التي توضح هذا الخلل المتمثل في التخلي عن الأخلاق، في مقابل، مخاطر علم في تطور مستمر دون توقف، إلى جانب مهارة المجربين الذين

استطاعوا استخلاص النتائج زادت الأمر تعقيدا من هذه الأمثلة الواقعية، والتي تؤكد التلاعب بالإنسان نذكر منها:

1-كيفية التأكد من نجاعة الأدوية، باستعمال طريقة تأثير الدواء الوهمي أو ما يسمى بالغة الفرنسية Effet Placebo بحيث يقوم المجرب بتقسيم المرضى إلى فئتين إحداهما يناولها الدواء ويعتني بها ،والأخرى يتركها لحالها دون علم منها بوضعيتها. وهذا طبعا مخالف لقانون حقوق الإنسان، منها علمه بوضعيته.

2- تجريب الطبيب، أو الباحث على نفسه، في هذه الحالة نحن نلغي المشكلة، لكن لا نعالجها.

3- عرض تجارب خطيرة لا نعلم عقباها على المساجين المحكوم عليهم بالإعدام مقابل حرياتهم خروجهم من السجن. هذا دليل آخر على استعمال الإنسان من طرف الإنسان. يبدو أننا منحنا لهم فرصة فريدة من نوعها، لكن في الحقيقة هذا عمل غير إنساني، ولا قانوني.

4- استئجار بعض المحترفين، الذين يخاطرون بأنفسهم وذلك بإقامة بعض التجارب العلمية عليهم . ولكن مهما يكن فإننا هنا أمام انزلا قات، نتيجة تبرئة الذمة، لا تعرف الحدود.

5- التجريب على الحيوان، في كثير من الأحوال، ولكن مهما تكن النتائج فلا يمكن نقلها كما هي إلى الإنسان فبعض الحيوانات تتحمل السموم، التي لا يمكن للإنسان تحملها، وهذا يشكل من شك خطر على الإنسان.

2) الإخصاب الصناعي:

تعتبر البيولوجيا من العلوم الطبيعية المتفوقة التي لم تتقدم إلا عبر مراحل ثلاث أبطلت القداسة الكائن الحي:

-المرحلة الأولى : هي مرحلة البحث التجريبي الذي يعين على معرفة أجهزة معينة ووظائفها ،كالهضم مثلا، والتنفس والحركة. هذه البحوث، تنتقل مما هو معطى أمامنا، ظاهري إلى ما هو خفي، لا يكون في وسع العالم البيولوجي إلا التأمل والإعجاب بغنى هذا الجسم ووظائفه.

– المرحلة الثانية :وهي الأهم، والمتمثلة في إخراج ما هو باطني.

– المرحلة الثالثة : بعد الاكتشاف والتحليل والتحكم في الوظيفة، يمكن عندها التدخل لإيقافها، أو توجيهها، أو تعديلها، أو تعويضها وتبديل مراحلها. إن أفضل صورة توضح ذلك، تلك التقنية التي نسميها بالإخصاب الصناعي. يتم الإخصاب الصناعي بطريقتين:

– الإخصاب بواسطة مني الزوج I.A.C .

– الإخصاب بواسطة مني لمتطوع I.A.D .

هذه التقنية تطورت ابتداء من سنة 1954 م، حين تمكن العلم من الاحتفاظ بالمني، وإنشاء بنك لهذا الغرض. عن طريق تقنية التبريد أو التجميد. وكلتا الطريقتين تستغلان مني الرجل في عملية الإخصاب الصناعي. إن اللجوء إلى الإخصاب الصناعي سببه محاولة التغلب على العقم. لكننا لا نعلم كم هي الحالات التي نلجأ فيها إلى مثل هذه التقنيات.

إن هذه التطبيقات تكون قد أحدثت زلزالا، لأنها من الأمور التي تعمل ليس فقط على مساعدة الزوج العقيم فحسب، بل لوضعيات الأخرى، مثل: تطبيق هذه التقنية على المرأة العازب، كما يمكن تطبيقها على الأرملة. وكذا على الشاذ جنسيا من النساء. إلى جانب الموقف الرافض للدين، هناك مشاكل كثيرة تنجم عن ذلك يمكن أن نذكر منها:

– تحريم عملية الاستمناء Masturbation ، وهي العملية التي تمكن من جمع المنى وحفظة في بنك النطاف.

– أما عملية الإخصاب بواسطة مني لمتطوع Hétéro Insémination فهي تمس بمعنى الأبوة، وتنقص من قيمة الزواج. لأن هناك تمييز بين الأب البيولوجي، من الأب الاجتماعي. من جهة أخرى، لا يؤدي المتطوع هنا إلا دورا تناسليا (التكاثر) ،وهي خاصية حيوانية تنتمي إلى اهتمامات البيطري، تنقص من قيمة الإنسان.

– أما إذا وفرنا هذه الإمكانية للمرأة العازب، فهذا غير ممكن، لأن هذا هجوما على القيم الأساسية، مثل الزواج، النسب، والأبوة، والقرابة، والتربية، والعائلة.

– هناك مشكلة أكبر من التي سبقتها، وهي في حالة تطبيق تقنية الإخصاب بعد الموت، أي بعد موت الرجل Insémination Post- Mortem هذه التقنية تقترب من تقنية الإخصاب بمني الزوج I A C فمثلا رجلا يصاب بالعقم نتيجة تناوله لدواء أو تعرضه لأشعة نتيجة علاجه لمرض السرطان مثلا . لكن قبل تلقيه للعلاج، قرر وضع جانبا أو الاحتفاظ ببعض منيّه لأجل توسيع و بناء أسرته فيما بعد.

هذا طبعا بالاتفاق مع زوجته. لكنه للأسف يموت الرجل. فهل بإمكان الزوجة أن تطلب عملية الإخصاب الصناعي من مركز حفظ المنيِ؟ C E C O S الرد من دون شك سيكون بالرفض، مع تقديم أعذار مثل، على الحياة أن تأخذ مجراها الطبيعي، وأن إعادة دفعها من جديد عن طريق الإخصاب الصناعي، بواسطة مني الأب، يثير الحزن لدى الزوجة، ويقتل الأمل. وقد يقال لها، أنه ما دام الزوجان قد انفصلا بسبب موت الزوج، فلا يجوز للزوجة أن تتقدم بمثل هذا الطلب. ثم، ما هو مصير طفل يلد من أب ميت؟كيف ينمو؟.

– تقنية استئجار الرحم La gestation pour autrui (GPA): ما ينطبق على الرجل، ينطبق على المرأة التي تحتفظ ببويضاتها، طبعا هناك بنك خاص بحفظ البويضات عن طريق تجميدها. فمثلا تؤخذ من امرأة بويضة Ovocyte لصديقتها العاقر، تلقح بمني الرجل ثم يعاد تثبيتها هذا يؤدي (مثلما ذكرنا بخصوص الأبوة) إلى تمزيق معنى الأمومة، وتقسيمها أحيانا إلى ثلاثة أشكال:

– امرأة تعطي البويضة

– أخرى تقبل حملها وتسمى (الرحم المستأجر) لأن الزوجة لا تستطيع الحمل أو مواصلة الحمل حتى النهاية لأسباب مرضية مثلا.

– وامرأة أخرى تسمى الأم الاجتماعية، المستفيدة. المهم، هو أن الطفل يلد من بويضة غريبة، ملقحة بمني زوج، ومرت بأم مستأجرة، إنها الصورة القصوى من صور الإنجاب على الإطلاق.

لأن الطفل في هذه الحالة وكأنه خرج من معمل معقد، دون أن ننسى قضية المال هنا، لأننا نشتري أو نستأجر رحما ونكون بذلك قد وصلنا إلى الطفل السلعة L'enfant Marchandise ، والأخطر من هذا، إذا تصورنا ولادة طفل مشوه.

– طفل الأنابيب Le Bébé éprouvette : إننا نستطيع إلى حد بعيد التخلي عن الأب أو الأم، واستبدال أحدهما بطريقة الإخصاب والآخر بأخذ بويضة، حتى تتم المراحل الأولى للجنين خارج الرحم I A C. بواسطة مني الزوج ثم إعادته إلى رحم الأم و هذا ما نطلق عليه اسم أطفال الأنابيب Le Bébé éprouvette بهذه الطريقة نكون قد حاربنا العقم، لكن منطقيا، نكون قد عوضنا بالتناوب، الأب ثم الأم ثم الاثنين معا.

هذه صورة واحدة من صور التقنيات البيولوجية، والتي تثير –مثلما رأينا– مشكلات كبيرة، لها تأثيرات، اجتماعية، ودينية، ونفسية، و...،لكن الملاحظة التي نقدمها في هذا الشأن:

قد يقال لنا بأن هذه التقنيات غير مطبقة في مجتمعاتنا الإسلامية نظرا لتحريم بعضها، لا بأس، لكن علينا أن ندرك أننا معنيون بمعرفة هذه التقنيات، ومخاطرها على الفرد والمجتمع (الأسرة)، وعلى العقيدة التي نؤمن بها، وأعتقد أن معرفة هذه التقنيات وإفرازاتها السلبية، واللا مسؤولة، واللا أخلاقية، أحسن من عدم معرفتها، والتنكر لها. من يدري أنه يأتي جيلا يفكر بهذه الطريقة؟؟؟.

هذا مثال عن التقنيات التي لا يمكن الحديث عنها كلها في هذا المقام، في المقابل يمكن ذكرها باعتبارها تثير مشكلة إطيقية (أخلاقية)، وبالتالي قابلة للنقاش الإطيقي، من هذه التقنيات:

3– الإجهاض Avortement: هي الإنهاء المتعمّد لحمل بشري، في أغلب الأحيان يكون علاجي، ويمكن أن يكون اختياري (إرادي)، وهذا ما يثير مشكلة أخلاقية، وقد يتحول إلى جريمة قتل عمدي في بعض البلدان، بينما نجد في البعض منها، من التقنيات المسموح بها. ترتبط هذه التقنية بتقنية أخرى تسمى، التشخيص القبولادي (تشخيص قبل الولادة) Diagnostique prénatale، أين يمكن

اتخاذ قرار الإجهاض في حالة ملاحظة نمو غير طبيعي (تشوهات) على الجنين. وهنا تطرح مشكلة القتل العمدي، وتترتب عنه مسؤوليات بصور مختلفة.

4- زرع الأعضاء Greffe d'Organes:

عملية نقل عضو من جسم وزرعه في جسم آخر، هذه التقنية مقبولة، ومسموح بها في كل المجتمعات، لغرض إنقاذ حياة أخرى في خطر، طبعا بعد موافقة المتطوع، أو عائلته. وقد تثير هذه التقنية مشكلة أخلاقية وقانونية، في حالة تحولها إلى شكل من أشكال المتاجرة بالأعضاء لفائدة، خاصة، الأغنياء، أو تكون بداع قصري، أي الفقر، فيضطر الفقير إلى بيع أعضائه من أجل العيش.

5- القتل الرحيم أو الموت الرحيم l'Euthanasie:

في اللّغة الإغريقية تعني الموت الجيد، أي الموت في هدوء، وهي في الطب المعاصر فعل يهدف إلى إثارة الموت، وإبطال الحياة. وهي عملية تهدف إلى تخليص المريض من آلامه، ولذلك تسمى بتقنية الإعانة على الانتحار (Suicide assisté - Aid au suicide). المشكلة تكمن فيما كان من حقوق الإنسان، حقه في الموت؟؟؟

يرتبط موضوع الموت الرحيم بمشكلة الخصوصية، استقلال ذاتي هل هذا الإجراء هو حق للمريض هل يحافظ على كرامته؟

في هذه الحالة يمكن الحديث عن أنواع التحكم في الذات: التحكم الذاتي في الحركة (الجسدية وبالتالي أفعل ما اشاء في جسدي).

التحكم الذاتي في التفكير: حرية التفكير واتخاذ القرار

تحكم ذاتي في الإرادة: العمل على المراقبة، والحد من التصرفات التلقائية، وتغليب منطق الوعي والإرادة في اتخاذ القرار.

هل يمتلك المريض الذي يطلب الموت هذه الحريات؟ وهل تلبية الطبيب لطلبه يعد من الحكمة، وبالتالي يحافظ على كرامة واستقلالية المريض؟ أسئلة قابلة للنقاش الفلسفي، وهي موضوع البيوإتيقا.

6- الاستنساخ Le clonage: زيادة طبيعية أو اصطناعية في عدد هوية واحدة، أي الحفاظ على نفس الجينوم للمستنسخين. والاستنساخ متنوع، والأخطر منه، هو الاستنساخ الإنساني Clonage humain خاصة إذا كانت غايته تحسين الجنس البشري Eugénisme لأغراض عنصرية، أو استعمارية، أو إيديولوجية. وفي هذه الحالة يثير مشكلة أخلاقية، أو اجتماعية، أو سياسية.

المشكلة الاجتماعية، تكمن في خلق نوع من التفاوت الغير طبيعي بين أفراد المجتمع، وقد تؤول إلى توحيد الهويات في المجتمع الواحد، الذي من المفروض أنه يكون متعدد الهويات حتى يحصل نوع من التوازن.

هذه البعض من القضايا البيوإطيقية التي احتلت نطاقا واسعا من النقاش على مستوى اللجان البيوإطيقية، وللأسف الشديد لا نمتلك هذه الفضاءات في الجزائر، وإلا كان بمقدورنا المشاركة في تشكيا وعي بيوإطيقي حول هذه القضايا التي سوف ندركها لا محالة.

- البيوإتيقا كمقاربة ثلاثية الأبعاد:

هنا ركزت البيوإتيقا على مجال المجتمع، أي ما تخلفه هاته التطورات على الساحة العامة بدءا بالشخصية الفردية. فهناك مجالان لا ثالث لهما في الحقل البيوإتيقي: "الميكرو-أخلاقيات Micro-éthiques ونعني به الحالة الشخصية للمريض، والمتدخلين في حالته الصحية، والحوار الذي يجري بين المريض والطبيب حتى يتوصل إلى تشخي في آخر المطاف. أما المجال الآخر فهو: "الماكرو-أخلاقيات Macro-éthiques. وهنا مثلا قضية الإجهاض والاستشارة الوراثية على سبيل المثال قضيتان تخصان الأفراد. غير أنهما تنعكسان على المجتمع. هذا ما يدعو إلى الإقرار بأن الصحة العمومية قضية اجتماعية لا يمكن إغفال انعكاسها على الأفراد.

- مجالات البيوإتيقا:

تم حصر مجالات هذا العلم المعاصر في ثلاثة ميادين معروفة، و رجع هذا التقسيم إلى أغلب القضايا التي عالجناها و أخذناها بعين الاعتبار ك: الصحة العمومية، مرض السيدا، الموت الرحيم، الطابع النووي... فقد أصبحت هاته القضايا تخصصات مستقلة بذاتها بعدما كانت تعالج وتدرس في تكامل واختلاط مع بعضهم البعض. أما مع تطور العلم، فأصبحت تدرس كل على حدى، ما نتج عنها كمجالات للبيوإتيقا ثلاثة فروع رئيسية و هي كالتالي:

1- أخلاقيات العيادة:

كان للعالم الأمريكي المؤسس لمركز البيوإتيقا بكندا دافيد روي David J. Roy (1937-2015) رأي في بعض الحالات البيولوجية التي أثارت تساؤلات داخل محيط الأفراد. فمثلا طرحت قضايا حول الأطفال الحديثي الولادة المصابين بتشوهات خطيرة، وأيضا قضية الإبقاء على الوسائل الداعمة للحياة بالنسبة للذين يوجدون في حالة غيبوبة مستمرة. فهل يا ترى من واجب الطبيب الإبقاء وعلاج هاته الحالات؟ هل تستطيع الممرضة والطبيب أن يحفظوا أسرار مرضاهم (مرضى السيدا مثلا)؟ وهل يستطيع الطبيب البوح بحقيقة مرض المريض لعائلته؟

ما نلاحظه من خلال هذا العرض أن أخلاقيات العيادة ترتبط بما يجب فعله مع المريض والحوار الذي يحدث مع ذويه و كيف يكون. حيث يقول "دافيد روي": «**ترتبط الأخلاقيات العيادية بكل ما يواجه الأطباء والفرق الطبية من قرارات، وشكوك، واختلافات قيمية ومعضلات، وذلك سواء أمام أسرة المريض، أو داخل غرفة العمليات، أو في مكتب الاستشارة الطبية، أو في العيادة، أو حتى في منزل المريض**». ومعنى هذا القول أنه يجب على الطبيب أو فرقه أن يتصفوا بأخلاقيات يجب أن تظهر على أكمل وجه عند المريض وذويه حتى يشعر المريض بذاك الجانب القيمي الخلقي للطبيب وأعضائه. ما نلمسه هو أن أخلاقيات العيادة يمكن أن نحصرها في ثلاثة أطراف رئيسية بدءا من العلاقة التفاعلية الناشئة بين المريض والطبيب وصولا إلى مجتمعه.

وتهتم أيضا أخلاقيات العيادة بمعاناة الطاقم الطبي والانزعاج الذي يلحق مؤسسات العلاج من حالات يصعب تحملها. ولا يجب أن تتغاضى أخلاقيات العيادة عن دور الطبيب الذي يبذل جهدا باستمرار من أجل المريض الذي يضع ثقته فيه. فالطبيب غالبا ما يكون أمام مواقف محرجة مثلا عند التوليد، فقد يكون أمام خيار إبقاء الحياة للطفل أم الأم. إضافة إلى الحالات الصعبة كمرضى السرطان بإيقاف العلاج أو الاستمرار فيه. هذا ما يؤكد على أنه يجب على الطبيب أن يعرف مدى قيمة مكانته، وأن لا يستغلها لصالحه، فهي تمثل حياة إنسان.

2- أخلاقيات البحث العلمي:

ترجع أخلاقيات البحث العلمي إلى مرحلة متقدمة من التاريخ، فقد انفصلت شيئا فشيئا عن أخلاقيات الطب الكلاسيكية. فهاته الأخلاقيات يجد العامة من الناس صعوبة في فهمها، لذا فهي مفروضة على الباحث، ويجب عليه أن لا يتجاهلها كونه أمام كائن حي إنساني له مميزاته وخصائصه التي يجب أن لا يُتعدّى عليها تحت مسمى التجريب العلمي و تطور العلوم. و قد تبلورت هذه الفكرة تدريجيا ابتداء من محاكمة نورمنبورغ خاصة بعد إعلان هلسنكي سنة 1964 مما دعا إلى ظهور العديد من المؤسسات تمارس نوعا من الرقابة الديمقراطية للأبحاث العلمية، وتركز على قضايا أساسية كمشروعية التجارب والأبحاث على البشر، أو على المرجعيات التي ينبغي احترامها لكونها أبحاثا علمية تتخذ الإنسان وعناصر جسمه موضوعا لها.

3- أخلاقيات السياسة الصحية:

يمكن فهم مجال السياسة الصحية بأنه مجموع الخطط المرتبطة بالصحة و التي تضعها وتسيرها السلطات موجهة إياها لمجموع السكان دون تمييز، أي إلى عامة الناس بطريقة عادلة غير ظالمة. وهكذا تكون الدولة قد صغت لمطالب أفرادها، وحاولت توفير كل الحاجات التي يحتاجونها. ويمكن أن نميز بين ثلاثة مستويات رئيسية للسياسة الصحية:

– **الصحة العمومية:** وهي ردة فعل السلطات نحو شعبها أو أفرادها بغية توفير الشروط والظروف اللازمة لصحة السكان، وتأخذ هذه الاستراتيجية ثلاثة أبعاد هامة: الوقاية، والحماية وأخيرا الوصول إلى التحسيس الصحي.

– **منظومة العلاج:** يمكن أن نشرحها على أنها مجموعة مبادئ توعوية، وتنظيم فعلي بغية العلاج الصحي داخل منطقة معينة.

– **توزيع الموارد الصحية في منطقة أو بلد ما:** أي مجموعة الموارد كالأدوية العلاجية مثلا التي وفرتها السلطات وتوزيعها على المواطنين عند الحاجة لها. ينطبق هذا الأمر على العلاقات ذات المستوى العالمي فمثلا: قضية توزيع اللقاح ضد الكورونا من طرف البلدان النامية التي اكتشفت اللقاح، على البلدان الفقيرة، لا بد أن يكون الأساس في ذلك أكثر أخلاقي منه سياسي.

إذن، يمكن القول أن أخلاقيات السياسة الصحية هو تفكير حول البعد الأخلاقي لمجموع القضايا التي تهم المواطنين، والتساؤلات التي يطرحونها حول الصحة مثل: حق المواطنين في معرفة التنظيمات التي تقوم بها السلطات الدولية خاصة في جانب توفير موارد العلاج مع ضمان الحق في العلاج، والصحة، ومدى تسوية مبدأ العدالة والمساواة في العلاج.

مهما أحصينا من ميادين ومسائل للبيوإتيقا دخل لمناقشتها، فإن الأمر يفوق قدرة الدارس على افلمامي بها كلها، خاصة بعد ما شهد هذا المبحث إتساعا وتوسعا حتى شمل كل أبعاد الإنسان في ابسط مظاهر حياته، والتي تثير شكوكا إتيقية تستدعي النظر والمناقشة.

يمكن للطالب إثراء الموضوع، بتوظيف مختلف المراجع المرفقة لهذا المحور.

مراجع المحور:

- يورغن هابرماس: مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو رسالة ليبرالية، تر: جورج كتورة الهاشم، ط 01، المكتبة الشرقية، 2006.

- عمر بوفتاس: البيوإتيقا: الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا، د. ط، أفريقيا الشرق، المغرب، 2011.

- Guy Durand, La bioéthique(Nature, Principe, Enjeux), Les éditions du cerf, France? 1989.

- Hubert Doucet, Religiologique, Religion et Bioéthique, Réflexion sur leur relation Daniel Callahan, Why America Accepted Bioethics, The hastings center report, 23 november. December, 1993-1996.
- http://www.unites.uqam.ca/religiologiques

-Stanton-Jean M. Les pièges des mots rendent-ils impossible une vision globale de la bioéthique ? Ethics, Medicine and Public Health (2017).
- http://dx.doi.org/10.1016/j.jemep.2017.04.001

-François Dagognet, *Pour un éventuel élargissement de la bioéthique* Cités, No. 3, Le corps humain sous influence: La bioéthique entre pouvoir et droit(2000).
- http://www.jstor.org/stable/40620679

-Anne Fagot-Largeault, Biologie et devenir technologique de l'homme, in, Le devenir de la bioéthique
- http://dx.doi.org/10.1016/j.crvi.2015.07.001

- François Dagognet, Le vivant, Broché, 1988.

- François Dagognet, L'homme maitre de la vie?, Bordas, 2003.

- Cohen Jean, Fécondation, in, Don de gamètes et d'embryons. https://www.universalis.fr/encyclopedie/fivete/4-don-de-gametes-et-d-embryons/

- Hans Jonas, Le principe responsabilité, Une éthique pour la civilisation technologique, Broché, 2013.

Xavier Ducrocq, Débat sur l'euthanasie : regard philosophique sur le respect de l'autonomie, revue, Médecine Palliative, Volume 7, Issue 2, April 2008, pp 104-105.
- https://doi.org/10.1016/j.medpal.2007.10.002

❖المحور الثالث: البعد الفلسفي للبيوإطيقا

- مهمة الفلسفة اليوم

- من الأخلاق إلى الإطيقا

- معنى البيوإتيقا

- البيوإتيقا رهان الفلسفة المستقبلية:

- مراجع المحور

تمهيد: تقوم الفلسفة على التساؤل حول القضايا التي تعبر عن مختلف أبعاد الحياة، والتجارب الإنسانية، أي التساؤل حول كل ما يتعلق بالتفكر، سواء في مجال المعرفية العلمية، أو الحس المشترك، أو مظاهر التفكير الأدبي، بمعنى آخر التساؤل حول المفاهيم، حول حياتنا، وحول الكيفية التي نفهم بها العالم، وبنية الأفكار، والأساس الذي تستند إليه.

والمقصود بالتساؤل هنا، هو التساؤل النقدي Questionnement critique، كما أن النقد هنا ليس الغرض منه التحطيم، لذلك ينبغي أن يكون عقلانيا، ولا يكون كذلك إلاّ إذا كان فاعلا، أي أن يكون للفلسفة دور في الواقع خاصة (مرافقة الواقع). وإذا كانت الفلسفة، في هذه الحالة، تساؤل حول الواقع، فلا بد لها أن تحدث تغييرا في كيفية النظر، وفي كيفية العمل، وفي كيفية القول، وكيفية المعرفة.

لقد تساءل برغسون Bergson حول الفائدة من الحديث حول الظواهر الروحية في عصر علم النفس الحالي. كما تساءل فوكو Foucault عن: ما معنى عقلنة اللغة في الزمن الكلاسيكي.

– مهمة الفلسفة اليوم:

تُعنى الفلسفة، اليوم، بمناقشة النتائج العلمية من خلال مبحثها وفرعها الجديد وهو مبحث الإبستيمولوجيا Épistémologie حقل خصب للتفكير الجاد في مسائل العلوم، استطاع أن يجلب له عددا كبيرا من الباحثين. ومنه يعتقد الكثير من المفكرون والفلاسفة أمثال فرانسوا داغوني François Dagognet، أنه من الضروري توجيه البحوث الفلسفية إلى العناية بالواقع أكثر، والابتعاد عن الميتافيزيقي، وعندها فقط تجد الفلسفة قيمتها.إن العلم لا يلتفت كثيرا إلى ماضيه، على حد تعبير هيدغير Heidegger فهو لا يفكر في ذاته. لذا اضطلعت الفلسفة بهذه المهمة وهي التفكير في ذات العلم، في منهجه، في منطقه وفي خصائص المعرفة العلمية، شروطها، طبائع تقدمها، كيفياتها وعواملها، وبهذا تكون مسؤولة عن تاريخ العلم ووضعيته، وبالتالي غايتها القصوى، هي محاولة فهم

ظاهرة العلم فهما أعمق. في هذه الحالة يمكن اعتبار فلسفة العلوم هي المعبر الرسمي والشرعي لهذه الوظيفة من دون منازع.

إن مهمة الفيلسوف اليوم تتمثل في صنع نوع من التفكير حول العلوم وقد أصبح القرن الحالي يعرف بقرن الأخلاق العملية، فرضتها طبيعة المشكلات التي يواجهها الإنسان في حياته، والتي لا يجد لها ردا إلا من خلال التفكير الفلسفي.

إن الفلسفة اليوم قادرة على وضع نظريات أخلاقية ذات طابع تطبيقي، أي أخلاق عملية Éthique appliquée كل هذا يدخل ضمن النظرة الجديدة إلى العلاقة بين العلم والفلسفة. وعليه فالفلسفة في نظر" داغوني" **لا تستطيع أن تتغذى من نفسها، ولكن، عليها أن تدخل مدرسة العلوم، وأن تتفتح على المعارف والآداب الأخرى، فوظيفتها ثورية**، ويقصد بالثورية هنا، الوظيفة النقدية.

– من ألأخلاق إلى الإطيقا:

لا شك في أن مسعى الفلسفة أخلاقي بالدرجة الأولى، على الأقل هذا ما كان يميزها في السابق، إلا أن الأخلاق كمفهوم خضعت إلى تغيّر وفقا لمتطلبات العصر، والطبيعة الواقعية للقضايا التي تعكف الفلسفة على دراستها، والتي جعلت منها أخلاق عملية، أو (تطبيقية مثلما أشرنا إلى ذلك)، ربما هذا يدفعنا إلى التمييز بين الأخلاق والإطيقا Morale et Éthique ، وإن كان التمييز بينهما، نوعا ما صعبن إلاّ انه يمكن تقديمه في صورته البسيطة بحيث يمكن القول:

– البُعد الأخلاقي للفلسفة يتمثل في ان غاية التفكير أو غاية النظرية الأخلاقية هي محاولة تقديم منظومة قيمية ومبادئ لغرض توجيه أفعالنا إلى الخير. (بُعد ميتافيزيقي) التساؤل حو أصل الخير، وأصل الشر.

– البعد الإطيقي للفلسفة، يعني ببساطة العمل، بمعنى (تفكير زائد عمل)، نمارسه على أنفسنا، وعلى سلوكنا، بمعنى آخر: البعد الإطيقي للفلسفة يتمثل في تناولها للأمور في صورة وجودها الخاص، وفي علاقتها مع الغير، وعلاقتها بالعالم، والأكثر من هذا، فهي تتساءل حول الكيفية التي نوجه بها

حياتنا، حول سلوكنا نحو ذواتنا، ونحو الآخر، ونحو العالم بشكل عام. إذن الإطيقا ليس توجيه، وليست خطاب يحدد ما هو خير ، وما هو شر.(بُعد واقعي).

إن الغرض من هذا التمييز بين الأخلاق والإطيقا، هو في الحقيقة، محاولة الوصول إلى توضيح أكثر (لأننا تطرقنا إلى تعريف البيوإتيقا) معنى البيوإطيقا، ومنه توضيح البُعد أو الأبعاد الفلسفية التي يمكن أن تتضمنه هذه الأخيرة.

– معنى البيوإتيقا:

من خلال ما سبق عند التمييز بين المفهومين (الأخلاق–الإطيقا)، يمكن القول بأن البيوإتيقا ليست خطابا، ولا هي نظرية أخلاقية، بل هي ما نحتاج إليه كمرجع، وضمان إطيقي كلما اقتضت الضرورة، أي كلما كان هناك تجاوز للحدود، كالحرية والكرامة الإنسانية. بمعنى آخر تتدخل البيوإتيقا في صورة منبه وموجه أخلاقي، روحي[2]، وذلك من خلال وضع بعض القيم، فأين يقول لنا العلم ما هو كائن، تقول لنا البيوإتيقا، ما ينبغي أن يكون. عمل البيوإتيقا يكون من خلال عمل اللّجان البيوإطيقية Les comités de bioéthique. التي ليس من إختصاصها وضع قوانين تضبط البحث العلمي، ولا من إختصاصها الحكم على نتائج البحث العلمي (خاصة منه البيولوجي والطبي) على أنه خير أم شر. من هنا يمكن تلخيص مميزات العمل البيوإطيقي فيما يلي:

– البيوإتيقا ليس علمًا، كما أنها ليست نشاطا متخصصا في مجال معين، كما أنها ليست علما أخلاقيا يشرف عليه مختصون في الكرامة الإنسانية، أو في حقوق الإنسان، أو في حقوق الحياة.

– إنها نوع من التفكير تتقاطع فيه الكثير من القناعات، فهي تمثل صورة تكامل بين مختلف المعايير القانونية، والأخلاقية من أجل مناقشة المساءل التي يفرزه التطور السلبي للعلوم البيولوجية والطبية على وجه الخصوص.

[2] ليس المقصود هنا بالروحي أي الديني، إنما المقصود هو نمط من التفكير الذي يهتم بالجوانب خاصة المعنوية منها للإنسان، أي التي تحمل قيمة إنسانية، وروحية، كالكرامة، الحق في الحياة، الحرية، الإحترام وغيرها.

– وظيفة اللجان البيوإطيقية تكمن في توجيهنان وتذكيرنا بحقيقة الحياة الإنسانية, أن الإنسان يختلف عن غيره من الكائنات الحية، من حيث أنه قادر على خلق شروطه الخاصة، التي بها نحيا بها هنا والآن.

إن التأمل في كل هذه الوظائف، لا شك أنه يحيلنا إلى جوهر النقاش الإطيقي الذي نعتبره فلسفي في المقام الأول

– البيوإتيقا رهان الفلسفة المستقبلية:

إن نتائج التجارب الخطيرة في المجال البيولوجي والطبي، تبث الرعب لدى الإنسان مما دفعه إلى التساؤل عن مدى خطورتها، وبالتالي التساؤل عن مصيره وعن القيمة الأخلاقية لهذه التجارب. وهذه من دون شك مهمة من المهام التي تضطلع بها الفلسفة اليوم، في إطار ما يسمى بالبيوإتيقا **La bioéthique**.

إنها مهمة الفيلسوف متمثلة في صنع نوع من التفكير حول البيولوجيا Une bio- réflexion. إن مبدأ الاحتياط له قيمة في الفلسفة، خاصة في مجال الحياة. يقول "داغوني":<< يوم دخلت البيولوجيا حرم الحياة أصبحت تثير تساؤلات أخلاقية "فالمشكلة الأخلاقية توجد تماما في قلب البيولوجيا الحديثة>>.

"La question morale se trouve bien au cœur de la biologie moderne"

بالرغم من أن الفلسفة لا تمتلك الأفضلية لا على القانون، ولا على العمل، ولا حتى على العلوم الطبية، ولا علم النفس، ولا علم الاجتماع، إلا **أنها تستطيع، وبفعالية، أن تشارك في توضيح المعنى الإطيقي الذي تتضمنه التساؤلات البيوإطيقية.**

بمعنى آخر، إن الطبيعة الأخلاقية للمسائل التي تثيرها البيوإتيقا، هي في الحقيقة ذات بعد فلسفي، لأنها تدعونا إلى التفكير حولها، ومحاولة إيجاد مخارج تستجيب للضرورة الأخلاقية والقيمية، وهذا طبعا من اختصاص الفيلسوف، وبالتالي يمتلك هذا الأخير أحقية، ومشروعية التفلسف في المجال البيوإطيقي.ربما هذا ما نعبر به على العموم **بالأساس الفلسفي للبيوإطيقا.**

– من الأمثلة التي يمكن أن توضح لنا هذا المسعى، مفهوم الكرامة La dignité مفهوم أساسي في فلسفة كانط Kant الأخلاقية. هذا المفهوم استطاع أن يفرض نفسه على البيوإطقيين Bioéthiciens، كمفهوم أساسي، وضروري في ربط التفكير البيوإطيقي بالمعايير البيو–تشريعية، أو البيو–قانونية [3] Biojuridique .وليس من الصدفة أنه المفهوم الوحيد القيمي (الأكسيولوجي) Axiologique الذي يظهر في كل القوانين والمعاهدات، حول حقوق الإنسان المنصوص عليها مثلا: أثناء انعقاد اللجنة الأوروبية في جانفي 1997. وهي "معاهدة من أجل حماية حقوق الإنسان وكرامة الكائن الإنساني تجاه التطبيقات البيولوجية والطبية".

نشير في هذا الصدد، أن مفهوم الكرامة الإنسانية ليس مفهوما خاصا للأكسيولوجيا، بل هو من المفاهيم الأساسية كذلك في المجال الديني (التيولوجي)، والاجتماعي (السوسيولوجي). وهذا يبرز من جهة أخرى، الطابع التكاملي للبيوإطيقا.

حين خرجت بعض التقنيات المعاصرة عن مبادئها و حدودها، أصبحت تتناسى أنها تتعامل مع كائن حي له حرمته وقداسته. ولجئت إلى ما يعرف بتضخيم الأمل الكاذب بإمكانية مواجهة جميع المشاكل الحياتية، ما ولّد فكرة أن مبدأ الكرامة الإنسانية نسبي لكونها يخضع لمعايير متغيرة. وقد ترتب عن هذا الشعور نوع من الوعي الذي يستوجب تضامنا، ومطالبة بإعتبار الكائن الحي الإنسان أولا كذات إنسانية مقدسة، وأن العمل البيولوجي لا يمكن أن يصير إلا إذا كان برغبة و إرادة حرة غير مقيدةن بهدف احترام الحياة ورعايتها. هذا ما دعت إليه العديد من الديانات سواء مسيحية، أو يهودية أو الإسلام.

فقد جاء في القرآن الكريم قوله عزّ و جلّ: ﴿ **وَ لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَ حَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِّ وَ البَحْرِ وَ رَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَ فَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** ﴾ [الإسراء، الآية: 70].

[3] مجموع التشريعات، والقوانين التي جاءت كرد فعل على تجاوزات التطبيقات البيولوجية والطبية، وآثارها السلبية على حياة الإنسان بجميع أبعاده، خاصة منها المعنوية كالكرامة الإنسانية.

هاته الآية الشريفة تشكل القاعدة الأساسية لمعرفة نظرية الإسلام في كرامة الإنسان، وقد ذكر العلامة "الطباطبائي": «**الكرامة الإنسانية بمفهوم أنها تكريم يقوم على تخصيص الشيء بالعناية وتشريفه بما يختص به ولا يوجد في غيره، وبذلك يفترق عن التفضيل. فإن التكريم معنى نفسي وهو جعله شريفا ذا كرامة في نفسه**». وما نفهمه من هذا القول هو أن الإنسان مكرّم عن سائر المخلوقات الأخرى وله حرمته و حريته الذاتية.

من هنا نخلص إلى القول بأن القضايا البيوإطيقية ذات بُعد إطيقي أخلاقي، وما دامت كذلك، فهي بالضرورة قابلة للنقاش وقد كانت للكرامة الإنسانية حظ فيه. فقد طرحت هذه الأخيرة العديد من التساؤلات حول حفظ كرامة الإنسان خصوصا داخل الممارسات الحية على الكائن الحي بما أنه كلّ مركّب و لا تصحّ تجزئته، أو تطبيق البحث التجريبي عليه دون قبوله أو إرادته الحية. ونذكر على سبيل المثال بعضا من التساؤلات التي طرحت في صلب الممارسات التقنية على الإنسان:

أ– إلى أي حد يمكن لامرأة أن تسخّر قدرتها الإنجابية لصالح امرأة أخرى؟ ألا يجعل من ذاتها مجرّد وعاء للتكاثر أو مجرّد حاضنة حيّة؟

– أليست هاته الطريقة شكلا جديدا من أشكال استغلال المرأة؟

– مسألة توقف الحياة: متى يمكن أن نقول عن شخص ما أنه قد مات بالفعل؟

– متى يمكن للأطباء أن يقرروا أن المريض ما زال على قيد الحياة رغم دخوله في حالة غيبوبة مستمرة؟

– هل يجوز انتزاع أجهزة الإنعاش التي تقوم بالوظائف الحيوية للمريض؟

– هل يمكن أن نقتل الإنسان و نسلب منه خاصيته الحياتية رغم أنه لا أمل منه واقتصادا للتكاليف العلاجية؟

المراجع المحور:

– طريف الخولي يمنى، فلسفة العلم في القرن العشرين،سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 264 ، ديسمبر2000م.

– علي عبود المحمداوي (تحت إشراف)، مجموعة من الأكاديميين، البيوتيقا والمهمة الفلسفية (أخلاق البايولوجيا ورهانات التقنية)، الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة، 2014.

– محمد جديدي، البيو–إطيقا ورهانات الفلسفة القادمة، محاضرة ألقيت خلال الملتقى الدولي الثالث للفلسفة، بالمكتبة الوطنية الجزائر العاصمة 25/ 26، أفريل 2007 .

– العمري حربوش، إبستيمولوجيا الطب والبيولوجيا في فلسفة فرانسوا داغوني، دار الأيام، الأردن، 2016.

- Dagognet François. faces, surfaces, interfaces. Librairie philosophique J.VRIN. Paris. 1982.

- François Dagognet . L'homme maitre de la vie. Edions Bordas. Paris. 2003.

- François Dagognet Nature. Librairie Philosophique. J.Vrin . Paris. 1990

- François Dagognet Le vivant. Edition Bordas. Paris, 1988**.**

- Francesco d'Agostino, La bioéthique dans la perspective de la philosophie du droit, pu Laval, 2005.

- A quoi sert La Philosophie, débat animé par, Robert Maggiori, édition de la bibliothèque d'information, Centre Pompidou, 2005,document P.D.F
- http://www.bpi.fr,rubrique. 25/05/2006

- Arnaud Desjardin, compte-rendu, François Dagognet, les grands philosophes et leurs philosophie. Une Histoire Mouvementée et Belliqueuse, Les empêcheurs de penser en rond, Paris, 2002, p. 10.
http://www.ac-amiens.fr/pedagogie/philosophie/lecture/dagognet06/01/2006.

-Antoine Courban. Ethique de la Bioéthique. Thème d'une conférence donnée à Damas le 06/12/2003. Texte publié à Beyrouth dans la revue " travaux et jours". N° 73. Printemps 2004.

- Sous la direction (Dominique Lecourt). Dictionnaire de la pensée médicale. P U F . 2004.
- Guy Durand, La bioéthique(Nature, Principe, Enjeux), Les éditions du cerf, France? 1989.

❖المحور الرابع: أزمة العلم والفلسفة

عناصر المحاضرة:

–ما قبل الأزمة: عصر النهضة والأنوار

– الأزمة

– أزمة العلوم الطبيعية

– أزمة الرياضيات والمنطق

– أزمة الفلسفة

– أزمة المنهج

– مراجع المحور

تمهيد: في هذه المحاضرة نحاول توضيح حاجة العلم إلى الفلسفة، وحاجة الفلسفة إلى العلم، وأنه لا يمكن الاستغناء على الفلسفة بالعلم، ولا عن العلم بالفلسفة، وأن المعرفة مهما كانت طبيعتها، فلسفية أم علمية، فهي نسبية. من جهة أخرى، تحاول المحاضرة الإجابة عن السؤول: ما هي إفرازات أزمة العلم، وأزمة الفلسفة؟ وما مدى تأثير هذه الأزمة على العلاقة التاريخية بين العلم والفلسفة؟

– ما قبل الأزمة: عصر النهضة والأنوار

الفلسفة الحديثة كانت نتيجة انهيار الفكر المدرسي، الكنسي في أوروبا، بعد ما عارضته، ذلك لأن ما كان يميّز هذا الفكر، هو أن مرد كل شيء في الوجود هو الإله، مركز الكون، وخالق كل شيء. هذه النظرة الميتافيزيقية، عجزت عن تقديم تفسيرات موضوعية لظواهر الكون، مما دفع الفكر إلى تجاوزها وتبني نمط آخر من التفكير العقلاني أكثر انسجاما مع الواقع، وذلك انطلاقا من الاعتقاد بأن الإنسان مستقل عن الإله، وهو حر، وقادر على بلوغ الحقيقة، والكشف عن أسرار الكون، وهذا ما حصل على المستوي التجديد المعرفي في عصر النهضة الأوروبية La renaissance .

يمتد عصر النهضة الأوروبية، أو ما يمكن أن يسميه البعض، بعصر الحداثة الأولى، في نظر المؤرخين لفترة طويلة، بل لعدة قرون، من القرن 15 إلى القرن 17، وتتوسط هذه المرحلة (عصر النهضة)، نهاية حكم الكنيسة، وعصر الحداثة أو التنوير. وهو عصر ظهرت وتطورت فيه الكثير من العلوم، نتيجة إعادة قراءة النصوص القديمة، وتطور بعض التقنيات.

لقد كانت المبادئ الجديدة التي تبناها المفكرون دافعا قويا للبحث عن طرق، ومناهج بديلة للتعامل مع الوجود، أي التعامل مع الواقع، بعيدا عن المنطق الصوري، الذي ضل المنهج الوحيد منذ عهد ارسطو حتى القرن 17، وذلك من خلال اعتماد تفسيرات أكثر موضوعية، بعيدة عن العقيدة وعاطفة الإيمان.

يعتبر ديكارت Descartes (1596-1650) هو الواضع الحقيقي لأسس الثورة الفكرية، وذلك من خلال اعتبار الفكر هو بداية الفلسفة فكرة الكوجيتو Le cogito ، وبالتالي يأخذ ديكارت **بالاتجاه**

الذاتي، ومن جهة أخرى يؤمن بأن كل شيء يمكن تفسيره بواسطة قوانين رياضية حسابية، واعتبار أن الحقيقة أو البعض منها، يمكن اختزالها في مفاهيم ميكانيكية ، وبالتالي يكون ديكارت قد بشر بالذهب الميكانيكي، الذي يقوم على الإيمان بأن هناك درجتين من الوجود: العقل – المادة. عن طريق فكرة الكوجيتو تمكن ديكارت من الانتقال من الفكر إلى الواقع، ومنه إقامة علاقة بين العقل والمادة، وهي في نظره علاقة العلة والمعلول.

لقد أدت هذه الثورة إلى اعتناق المذهب الميكانيكي، ونبذ الميتافيزيقا في تصور الوجود. وهو المذهب المادي ومنه اعتبار الفيزياء هي **النموذج المعرفي** الوحيد، والمعيار الأوحد لكل العلوم التي تريد أن ترتقي إن مصاف العلوم الحقيقية، واعتبار المنهج التجريبي هو **النموذج المنهجي** الوحيد في التعامل مع ظواهر الكون، وكل تفسير يخرج عن هذه الشروط فهو ملغى، إسحاق نيوتن Isaac Newton (1643-1727) . وهذا ما ميّز عصر الأنوار الذي تبنى فكرة أنه يمكن تفسير النظام الأساسي للكون عن طريق الجهود العلمية، وأنه يمكن التحكم في الظواهر الطبيعية، والكشف عن أسرارها.

من الرواد الذين كان لهم الأثر الكبير في هذا العصر منهم الفلاسفة الإنجليز: جون لوك، وفرانسيس بيكون، توماس هوبز، وقبلهم نيوتن. ومن الشخصيات الرئيسية المثلة لهاذا العصر فولتير، مونتسكيو، ديدرو، روسو، هولباخ، دالمبير، دافد هيوم، وغيرهم كثيرون. في المقابل، وبالضبط في ألمانيا تبنى مفكروها المذهب الذاتي المثالي. إذن لدينا الماديون والتجريبيون، العقليون والمثاليون. ولدينا الوسط بينهما، ونحن نعتبره طفرة تاريخية فلسفية، وهو كانط Kant (1724-1804)، صاحب الفلسفة النقدية حين اتقد النزعة التجريبية، والنزعة العقلية، وهي في الحقيقة، فلسفة توفيقية. يرى كانط أن هناك طريقين للمعرفة:

– إما أن تتم عن طريق التجربة، وبالتالي لا حاجة لنا إلى الفلسفة.

– أو تتحول الفلسفة إلى تحليل، بحيث تدرس الخطوات التي بها يتكوّن الواقع.

الطريق الأول: تبناه المذهب الوضعي، المادي، واعتبر مهمة الفلسفة تقتصر على تجميع نتائج العلوم فحسب.

الطريق الثاني: تبناه الاتجاه المثالي، وبالتالي سعى إلى بناء نظم فلسفية، أو أنساق فلسفية، تحاول تفسير العالم على أنه نتاج لحركة الفكر، وهذا ما ميّز القرن 19 التركيب يعلوا التحليل، ويظهر ذلك جليا في الفلسفة الألمانية، مع فيخته، هيجل، وشيلنج.

– الأزمة:

هو مصطلح استعمله إدمند هوسرل Husserl (1859-1938) في كتابه أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية 1954 طباعته، ستة عشر سنة بعد وفاته، وهذ يدل على أن الأزمة ظهرت في نهاية القرن 19، في مستويات مختلفة:

– على المستوى المعرفي (العلمي و الفلسفي): – أزمة العلوم الطبيعية

– أزمة العلوم الرياضية

– طبيعة المعرفة الفلسفية

– على المستوى المنهجي (العلمي والفلسفي) — أزمة المنهج التجربي (الإستقراء العلمي)

– طرق الكشف عن الحقيقة.– المنهج الرياضي المنطقي

– المنهج الفنومينولوجي

– أزمة العلوم الطبيعية:

لقد كان التصور تصور ميكانيكي لعالم، تصور صادق وصحيح، ومطلق في نظر العلماء، وفي نظر النزعة الوضعية التي أسس لها أوغست كونت Auguste Comte (1798-1857)، لأنه ناتج عن التجربة، والحساب، وبالتالي يؤمن هؤلاء بأن الطبيعة تخضع لحتمية مطلقة، وأن كل ما توصل إليه العلم من حقائق، تعد مطلقة، وصادقة، ونهائية. وقد كان ذلك ابتداء مع نيوتن إلى لابلاس Laplace وامتد حتى نهاية القرن 19، إلّا أن هذا التصور لم يصمد، فقد لقي معارضة مع بداية القرن 20 بعد ما أكتشف بأن المادة ليست بالبساطة التي يعتقدها نيوتن، فهي على درجة كبيرة من

التعقيد، وبالتالي فهي لا تخضع إلى حتمية مطلقة، بل تخضع إلى مبدأ اللاحتمية، أو اللّاتعيّن، أو اللاتأكد، وهذه المبادئ تدل على نسبية المعرفة العلمية وهذا ما اثبته ألبرت أينشتاين Einstein (1879-1955) و هايزنبارغ Heisenberg (1901-1976)، من خلال الحديث عن القوانين الريبية، أو الاحتمالية.

إن تفسير الوجود تفسيرا ماديا بحتا، أضحى أمرا مشكوكا فيه، ومن ثمة، فإن نسبية المعرفة العلمية، صاحبها الشك في المنهج العلمي، أو التجريب (الاستقراء العلمي)، التي لم يعد كاف في تفسير كل الظواهر، المادية منها واللّامادية بالرغم من واقعيتها، كالظواهر النفسية، والتاريخية، والاجتماعية وغيرها. ومن هذا أصبحت النتائج التي توصل إليها العلم، من قوانين، ونظريات محل تحليل ونقد وشك.

– أزمة الرياضيات والمنطق: أو أزمة الأسس

– هي أزمة الهندسة الإقليدية، ومشكلة المجموعات (يمكن الاطلاع عليها في مراجع اخرى).

– ظهور المنطف في صورة جديدة، كالمنطق الرمزي، والمنطق الرياضي (كتاب مبادئ الرياضيات) كتاب مشترك بين برتراند رسل، و وايتهد، ساعد على تطوير المنطق الرياضي، والذي بدوره أثر على الفلسفة في عملية: تحليل المفاهيم، وعملية البرهنة، وكذا حل بعض المشكلات الفلسفية العالقة (الثالث المرفوع، البديهيات، الكليات).

– أزمة الفلسفة:

بداية أزمة الفلسفة، في نظر بعض مؤرخي الفلسفة، كانت مع ديكارت، حين جعل من الكوجيتو اساس، وبداية لكل العلوم والمعارف، ولكل تفكير. وإعتباره النواة الحقيقية لليقين، وبالتالي يكون قد نقل الفلسفة من النزعة الموضوعية المباشرة، إلى النزعة الذاتية المتعالية، والتي ارتقت بفضل بعض البحوث إلى نمط معرفي صوري ونهائي (معرفة صورية نهائية). هذه كانت أسباب فقدان الفلسفة،

وحدتها، وأسلوبها في الطرح والنظر. لقد زاد حجم الفلسفة، واتسعت دائرتها، وتعددت مناهجها، لكن دون رابط منطقي، ولا فكرة ناظمة بينها. إن طابع الاختلاف في الفلسفة ناتج عن الطبيعة المعقدة للموضوعات التي تتناولها، وطبيعة الأسئلة التي تطرحها، والتي تتصف بالشمولية، أو الكلية، بحيث تحاول الفلسفة الإجابة عن الأسئلة الكلية (أصل الوجود، أصل القيم، أصل المعرفة وغيرها).

كل هذا ينقص من قيمة الفلسفة في نظر الكثير من العلماء، والفلاسفة انفسهم (المدرسة الوضعية المنطقية، الوضعية الجديدة، التجريبية (الإمبريقية) المنطقية)، أو ما يطلق عليه حلقة فينا Le cercle de vienne التي جمعت أفكارها ومبادئها التي تؤمن بها، مثلا: أن المقولات الميتافيزيقية، أو الدينية، أو القيمية، فارغة من أي معنى إدراكي، من خلال نص تاريخي عبارة عن بيان يحتوي على قناعات الحلقة، وقائمة ممثليها، صاغه كل من ردولف كارناب، وهانس هان، تحت عنوان La Conception scientifique du monde : Le Cercle de Vienne، التصور "الفهم" العلمي للعالم: حلقة فينا 1929.

– أزمة المنهج

يعتقد الكثيرون بأن أزمة العلوم هي أزمة منهج، لا علاقة لها بالفلسفة، إلاّ أن استقراء تاريخ العلوم، وتاريخ الفلسفة يظهر غير ذلك. هذا ما حاول هوسرل توضيحه في كتابه أزمة العلو الأوروبية، الذي اشرنا إليه من قبل، والذي أكد فيه بأن أزمة العلوم ليست في معارضة قولها بصدق المعارف العلمية صدقا مطلقا فحسب، إنما في عدم اهتمامها بالإجابة عن الكثير من الأسئلة التي لها علاقة بالوجود البشري، وبالحياة، والأسئلة المتعلقة بالغاية، والذات، والتاريخ، والإله، والوجود وغيرها من الأسئلة. إن أزمة العلوم في نظر هوسرل، باختصار، هي أزمة فهم الذات الإنسانية، وبالتالي حصل فقدان الثقة في العقل وقدرته على توجيه الحياة المعرفية والعلمية.

فالعلم في نظر هوسرل منطوي على نفسه، مغلق، لا يهتم إلا بما هو مادي طبيعي، وبالتالي فهو يقضي على كل ما هو ذو طابع ذاتي.

وهو يحاول إعادة الاعتبار للفلسفة، ومنه إعادة العلاقة بينها وبين المعيش Le vécu ، من خلال الفنومينولوجيا La phénoménologie كمنهج يقوم قوم على تحليل الماهيات، في مقابل المنهج المنطق الرياضي الذي يقوم على تحليل الوقائع التجريبية.

تقوم الفنومينولوجيا على ضرورة تحويل الموقف الطبيعي إلى موقف فلسفي، بمعنى، إذا كان العلم يقوم على تسجيل ما يلاحظه في الواقع من ظواهر، دون تردد، فإن الفنومينولوجيا تقوم على فكرة الإيبوخي épochè أي وضع العالم بين قوسين، وبمعنى آخر التوقف عن إصدار أحكام، وهو منهج به يتوصل الوعي إلى اليمان بموضوعات متعالية عليه.

لا ينبغي أن يبقى الوعي منغلقا على نفسه، بل يتعداها لكي ينسب للموضوعات وجودا في العالم. إن المهمة الأساسية للفلسفة الفنومينولوجية، في هذه الحالة، هي بيان هذا البناء بالرجوع إلى معرفة الماهيات (ماهيات الأشياء).

ولكي تتحول الفلسفة غلى علم بالمعنى الحقيقي، لا بد من أن نستعيد وحدتها النسقية، أن تقوم ببناء أنساق، ونُظُمْ، ونظريات شاملة لمختلف مجالات الحياة، وتوجيه هذه الأخيرة وفقا للمعايير والقيم العقلية. هذا ما تهدف إليه الفنومينولوجيا الترنسندنتالية La philosophie transcendantale التي قدمها هوسرل، والتي تهدف إلى إدراك حدود العقل الحديث في ماهيته، كعقل تحليلي سيكولوجي ترنسندنتالي، ومنه فإن إصلاح الفلسفة لا يتم إلا بإصلاح العلوم، هنا، هوسرل لا يفصل بين أزمة العلوم، وأزمة الفلسفة.

النتيجة

– فقدان العلم سلطته في تفسير العالم والوجود، وكثير من الظواهر، مما يستوجب وجود أساس آخر يهتم بهذه الموضوعات، وهو الأساس الفلسفي.

– عدم قبول مفاهيم وقضايا علمية، دون تحليل فلسفي. وهذا ما حصل مع ظهور مبحث فلسفة العلوم أو الإبستيمولوجيا Epistémologie.

يبدو أن الأزمة ولّدت، من جديد، العلاقة بين العلم والفلسفة ، لطالما حاول التطرف العلمي القضاء عليها. فعلم اليوم، هو بحاجة ماسة للتقييم الإيطيقي، القيمي، الذي يبرز بعده الإنساني والروحي، وهي مهمة الفيلسوف، وفي الوقت نفسه، يقوم العلم بتقريب الفلسفة من الواقع، ويمدها بموضوعات جديدة بحكم أن العلم في تطور مستمر، وإن كانت **خطى العلم عملاقة، في مقابل بطء التفكير فيه، يدفعنا هذا، إلى الانخراط في المناقشات الفلسفية حول القضايا العلمية، خاصة منها البيولوجية والطبية، لذلك، تعتبر البيوإتيقا إحدى الرهانات الفلسفية المستقبلية.**

مراجع المحور

- إ.م بوشنسكي،الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة، عزت قرني، 1992،

- إ. هوسرل، أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية، ترجمة، إسماعيل المصدق مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، 2008.

- هوسرل، فكرة الفينومينولوجيا، ترجمة، فتحي انكزو، المنظمة العربية للترجمة، 2007.

- هابرماس، القول الفلسفي للحداثة، ترجمة: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، سورية، 1995.

- ليود سبنسر، أقدم لك عصر التنوير، ترجمة، إمام عبد الفتاح إمام،2005.

- كانغلام، دراسات في تاريخ وفلسفة العلوم، ترجمة، محمد بن ساسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2007.

- D. Lecourt, Dictionnaire d'histoire et de philosophie des sciences, puf, 2006.

- Michel Henry, phénoménologie de la vie, T1, De la phénoménologie, 2003.

- Alexandre Koyré, Étude d'histoire de la pensée scientifique, Gallimard, 1985.

❖**المحور الخامس:** **أخلاقيات العلم**

عناصر المحور:

- **المسؤولية العلمية**
- **فصل العلم عن التقنية = فصل العلم عن الأخلاق = نفي المسؤولية الأخلاقية**
- **إطيقا العلوم**
- **العلم مع الضمير (الوعي) Science avec conscience:**
- **المبررات**
- **مراجع المحور**

تمهيد: هذه الحاضرة تحاول تسليط الضوء على أهم علاقة بين العلم والفلسفة، وهي التقييم الأخلاقي (الإطيقي) لنتائج العلوم. وكذلك بيان الحاجة إلى هذا التقييم، وهذا الضابط الأخلاقي الذي يُظهر قيمة الفعل الإنساني العلمي أخلاقيا، وهو من أهم أبعاد التي تميز الإنسان العاقل، وبالتالي تميز سلوكه، وقد كان هذا البعد محل اهتمام القدامى، والمحدثين، والمعاصرين من الفلاسفة، لكن بصور مختلفة.

تحاول الفلسفة التساؤل حول التفكير الكامن فينا، وحول طريقة خطابنا، ونظرتنا للأمور، وحول أفعالنا أو ما يوجه وجودنا، فهي بذلك، عمل حول الطريقة التي نسلكها إزاء أنفسنا، وإزاء الآخرين، وإزاء العالم. بمعنى آخر، للفلسفة بعدا أخلاقيا (إطيقيا)، لأنها تحاول توجيه الموضوع أو الموضوعات إلى الطريقة التي بها تكون في مقابل ذاتها، أي وجودها الذاتي، وإلى الطريقة التي بها تواجه بها الآخر، أي في علاقتها مع الآخر، ومع العالم.

– المسؤولية العلمية:

لم يكن أب (الأب العلمي) أمندين Amandine (أول طفلة أنابيب) 1982، البيولوجي الفرنسي تستار Jacques Testar مرتاح للنتائج التي حققتها البحوث في مجال الهندسة الوراثية، بالرغم مما أتاحته للإنسان من إمكانية تحديد صفات الطفل الذي يكون له في المستقبل، وكان عدم رضاه أكثر حول ما ينجم عن هذا الطفل (طفل أنبوب)، من نسل. لقد كفّ "تستار" عن البحث سنة 1986، ووجه اهتمامه إلى التحليل النقدي للتقنيات العلمية في مجال الإخصاب الصناعي.

تحيلنا هذه الحادثة، إلى النظر في مستوى المسؤولية، حين نكون في مفترق الطرق بين ما نؤمن به وما نعرفه، بين ما نقدر عليه وما نريده، أي النظر في العلاقة بين المعرفة والتبرير، بين العلم وأهميته الاجتماعية، وبعده القيمي الاخلاقي. هل هناك شعور بالمسؤولية، هل شعر "تستار" بالمسؤولية، سواء كانت اجتماعية، أم أخلاقية؟

في هذا المجال، يحكى أن العملاق غرغونتا Gargantua أراد أن يعلّم ابنه بنطاغريال Pantagruel[4] الطالب، فكتب إليه رسالة بدئها بحكمة لسليمان يقول فيها:" إن الحكمة لا تدخل روحا مدنسة، وإن العلم من غير ضمير ما هو إلا فساد للروح[5]"

– فصل العلم عن التقنية = فصل العلم عن الأخلاق = نفي المسؤولية الأخلاقية

ليس العلم رؤية إلى العالم، ولا هو التقنية[6]، بمعنى خر، العلم لا هوة دين، ولا هو فلسفة، ولا هو التقنية، من هنا يرفض العلماء أن تكون الأخلاق وصية على العلم. هو ذا خط دفاع العلماء ومبررهم، اعتقادا منهم أن العم يحرر الإنسان، وأنه لا بد منه. ذلك أن غاية العلم ليست إعادة الظاهرة والتمكن من خلقها، بل محاولة فهمها. فإذا كنا بحاجة إلى الاستنساخ البشري، فهذا لا يعنى أننا بحاجة إلى إعادة أو خلق صورة طبق الصل، أي نفس الصورة، بل القصد من ذلك هو فهم الكائن الحي، فالعلم (المعرفة) هو الفهم La science c'est comprendre.

إن هذه المبررات، في الحقيقة، الغرض منها تنزيه العلم وذلك من خلال فصله عن التقنية، والتطبيقات العلمية، وتحقيق نوع من التفاؤلية للعلم، وهذا ناتج عن اعتقاد العلماء بأن العلم معرفة، وأنه منفصل التقنية، هو معرفة ممنهجة، وليس برؤية للعالم، وما دام العلم كذلك، فهو عمل مُرَاقَبْ، لا يحتاج إلى ضمير، أو إلى توجيه أخلاقي من الخارج، أي أن العلم يراقب نفسه بنفسه، وأن ما ينتج عن التقنية والتطبيقات العلمية لا يتعلق بالعلم (المعرفة) نفسه.

إن ما ينتج عن محاولة فصل العلم عن التقنية، هو نفي مسؤولية العلم في ما تحدثه التقنية من تأثيرات سلبية على الإنسان، كما أنها تهدف إلى جعل العلم مثالي Science Idéale أي العلم المثالي ينشط لغاية اجتماعية. يحاول أن يبني لنفسه تقاليد منها مثلا: الضمير العلمي. إن هذا الموقف الانعزالي (الانفصالي) Isolationniste أي فصل العلم عن التقنية، يجعل من مصدر التساؤلات ليس

---

4 الشخصيتان من كتابي الروائي الفرنسي رابلي François Rabelais ، Pantagruel 1532 و Gargantua 1534

5 François Rabelais, Pantagruel, Chapitre 8, Les éditions de Londres, 2014.

6 هناك مشكلة في العلاقة بين العلم و التقنية من حيث الوجود والأسبقية، لا نريد الخوض فيها لبعدها عن الموضوع المطروق.

العلم في حد ذاته، بل تطبيقاته، واستعمالاته، وتحدد ذلك نظرة المجتمع له. ويحاول (هذا الموقف) أن يثير فينا الشعور بالاطمئنان، وأن العلم خير.

إن الموقف الانعزالي يفضل العلم المثالي عن مثالية العلم L'idéal de la science أو المثالية العلمية l'Idéal scientifique التي تفضّل الامتياز والسيادة L'excellence عن الكفاءة و الفعالية L'efficacité، بمعنى أن يكون العلم متمّز بدلا من أن يكون فعالا. وهذ ما كان يؤمن به أفلاطون وبعده أرسطو، وهو العلم الذي يقبل الناس قيادتهم من خلاله، علم إقناع الناس، علم خادم السياسة، هو علم جيد لكن دون قيمة. إلى جانب ذلك تبقى مسألة معيار العلم المتميّز؟

من ناحية أخرى، هذا النوع من المثالية العلمية، لا يشوبه شك، فهو مطلق، لذلك فهو لا ينتمي إلى المعقول (العقلاني)، بل ينتمي إلى اللامعقول، وقد كان حكرا على مجموعة من الناس، وطبقة معينة، وحتى في العصر الوسيط لم يكن العلم اجتماعيا، بل كان في حوزة الكنيسة (في أوربا)، لكن مع عصر الأنوار والنهضة العلمية فقط، استطاع العلم أن يفرض نفسه على الدين والسياسة حتى أصبح الدين ليس هو المصدر الوحيد للمعرفة، كما أصبح الملك ليس هو الحاكم ، والأعلى الوحيد. مع هذا العصر ظهرت الأفكار الثورية، مع روسو، حين أعتبر أن التربية من حق كل إنسان، وهي جزء من الطبيعة الإنسانية.

إن فصل العلم والمعرفة عن التقنية، ليس له ما يبرره من الناحية الواقعية إذا كنا نؤمن بالتكامل الوظيفي بينهما، مثل إيماننا بالتكامل الوظيفي بين الفكرة والتجربة، وبين اليد والرأس، فارأس (التفكير) من غير يد أساس عاجز، واليد من غير رأس، أداة عمياء. مهما كانت مبررات الفصل بين العلم والتقنية، فإن ضرورة وجود ضابط (خاصة أخلاقي منه) أمر لا يمكن نكرانه، سواء تعلق الأمر بالعلم أم بالتقنية.

– إطيقا العلوم:

إن محاولة تقريب مفهومي الإطيقا (الأخلاق) والعلم، هي محاولة للحديث عن الأساس الأخلاقي للعلم، أو ما يسمى بأخلاقيات العلم وآدابه Déontologie scientifique هذا من جهة، ومن جهة أخرى، محاولة تقريبهما، تثير مسألتين: **الأولى**: مسألة قديمة (كلاسيكية) حول المسؤولية الأخلاقية للعالِم Responsabilité morale du savant في الممارسة والتطبيقات العلمية. في هذا الصدد يمكن الحديث عن الضوابط الأخلاقية التي كانت تمثل المعيار في الممارسات، والمهن، مثل ذلك مهنة الطب والجراحة:

– في حضارة ما بين النهرين (البابلية)، من خلال ما جاء في قانون حمورابي، الذي يحدد مسؤولية الطبيب الجراح.

– في الحضارة اليونانية، من خلال قسم أبقراط Le serment d'Hippocrate. هذه القواعد تضبط سلوك الطبيب وممارساته انطلاقا من مبدأ احترام الحياة.

أما **الثانية**: أي اليوم، فإن التطور الملحوظ في مجال البيوتكنولوجيا La biotechnologie يعطي للمسألة الإطيقية بعثا جديدا، أي في صورة جديدة للصراع بين مصلحة العلم ومصلحة الأخلاق، وهي ببعض المعاني مصلحة الإنسان ككائن أخلاقي. وفي هذه الحالة فإن توظيف العلم لا يثير المسألة الأخلاقية بقدر ما تثيرها البحوث العلمية، مثل: البحوث الفيزيائية والكيميائية في صنع آلات الدمار، التي تصطدم بالقيم الأخلاقية، والثقافية الاجتماعية، وهنا يطرح السؤال المحرج: هل يبرر التطور العلمي كل شيء؟ من خلاله نكتشف ذلك الصراع بين القيم.

ينظر مجتمع اليوم إلى العلم على أنه الخير Le bien في حد ذاته، ولا يمكن ربطه بالشر Le mal، لذلك عوضا من أن تكون غاية اللجان والمنظمات الإطيقية الكشف نوايا العلم الشريرة، أصبحت الوسيلة الأنجع في إخفاء شروره وزلاته، وهذا انطلاقا من مبدأ الحفاظ على مصلحة العلم Intérêt de la science . طبعا هذا في راي بعض المفكرين، أو يتبناه ما يمكن أن نسميهم البيوقراطيين Les Bio-Crates في مجال البيولوجيا مثلا، وهم المؤيدون للتطبيقات العلمية البيولوجية، والنوويوقراطيين

Les nucléocrates في مجال العلوم الفيزيائية، وهم المؤيدون للاستعمالات النووية في توليد الطاقة. وكلهم يشتركون في المطالبة بالتوجيه الذاتي للعلم، والاستقلال الذاتي للعلم، ومنه **فإن التطوّر يشّرع التطوّر** . والأخطر فيه، هو التستر على أخطاء العلم تحت غطاء، من أجل التقدم، أو التطور العلمي.

نلاحظ هذا التوجه، كذلك، في الفكر الحديث الذي يؤمن بالأساس العلمي للأخلاق، أي تأسيس الإطيقا على العلم، وهو ما يتبناه ذوي التوجه الوضعي، محاولة منهم جعل القواعد الأخلاقية موضوعية، وهذا ما عمل عليه أمثال: أغيست كونت، دوركهايم، وغيرهم.

مهما تكن العلاقة بين العلم والإطيقا (الأخلاق)، فإنها اليوم ضرورية، ليس على شكل الكلاسيكي، أي أيهما يكون أساسا للآخر، أو أيهما يوجه ويتحكم في الآخر، بل في شكل جديد يخضع لمعايير منها: المشاركة، أي الشعور المشترك بالمسائل المطروحة، والموضوعية في النقاش حول هذه المسائل، وخير مثال على ذلك: مؤسسة البيوإتيقا، التي تتجسد فيها هذه المعايير باعتبارها مجال نقاش يجمع كل الشرائح، حول المسائل العلمية التي تحتاج إلى تقييم أخلاقي عملا بمبدأ احترام الحياة، الحرية، الكرامة الإنسانية.

هذا ما يؤكده العالم الاجتماعي الفرنسي إدغار موران Edgard Morin حين اعتقد العلم على درجة من التعقيد بحيث أنه بحاجة إلى تفكير يدرك هذا التعقيد، وبالضبط تعقيد الواقع اجتماعيا، إطيقيا (أخلاقيا)، تاريخيا، والأكثر من هذا، فهو (العلم) بحاجة إلى فكر يدرك به نفسه جوهريا، أي تعقيده، وتعقيد المسائل التي يتسبب فيها للإنسانية. ما دام العلم مركب (معقد)، فلا بد أن يكون الفكر القادر على فهمه، هو كذلك مركب.

ما يميّز علماء اليوم هو الانغلاق على تخصصاتهم، وارتباطهم بمبحث واحد عام، أي مسالة واحدة تجمعهم، وبالتالي أصبح نمط تفكيرهم، يشبه نمط التفكير الكلاسيكي، ولا يعلمون بأن تبرير ذلك لا يكون إلاّ العمل بفكرة عامة مجردة، وهي فكرة الحذر من الأفكار العامة، والمطلقة، مثلما كان يعتقده علماء القرن 19 (على حد تعبير إدغار موران).

– العلم مع الضمير (الوعي) Science avec conscience:

للضمير هنا معنيين (إدغار موران): **المعنى الأول**: الضمير هنا، هو الضمير الأخلاقي، من وضع رابلي Rabelais.F، من خلال قوله بأن العلم من دون أخلاق، تدنيس للروح. هذا الحكم قبلي، أي قبل ظهور العلم مستقل، بالمعاني الحديثة، كعلم لم يتمكن من الظهور والاستقلال إلاّ بعد ما تخلص من أحكام القيمة Les Jugements de valeurs، والامتثال لأخلاق واحدة، وهي أخلاق (إطيقا) المعرفة.

لكن سرعان ما تحول العلم إلى علم مضايَق Périscientifique ، سلطة موجهة، ومتحكمة، ومدمرة، ناتجة عن العلوم التقنية techno-Sciences الحديثة التي تسببت في مشاكل بالنسبة للعالِم، والمواطن، وللإنسانية جمعاء، مما نتج عنه نوع من المراقبة الإطيقية والسياسية للنشاط العلمي.

المعنى الثاني: هو معنى ذهني أو فكري، ويتعلق الأمر بالتفكير الذاتي حول الذات، أي التفكير حول ما يصدر عن الذات، وفي هذه الحالة على العلم أن يحي علاقته بالفلسفة، ويعيد اتصاله بالتفكير الفلسفي، والشيء نفسه ينطبق على الفلسفة، أي تواصلها مع العلوم حتى يكون لها موضوعات للبحث والتفكير فيها خاصة منها ذات الطابع المادي التجريبي. بشكل عام يعتقد إدغار موران، أن على العلم أن يعيد اتصاله مع الضمير والوعي السياسي والإطيقي.

ليس هناك معنى للعلم المشرذم بفعل التخصص، والمنطوي على نفسه، لا يتقاسم همومه، ولا إنجازاته، يقرر مصير المجتمع، ولا يتحكم في مصيره، يتحكم في الإنسان يبقيه غير واع بمصيره. "علم محروم من التفكير، مثل فلسفة تأملية خالصة، كلاهما غير كاف، ضمير (وعي) من دون علم، وعلم من دون ضمير (وعي)، كلاهما جذريا مشوَّه ومشوِّه"

(Edgar Morin, *Science avec conscience*, Paris, Fayard, 1982

من هنا ينبغي أن يتحد معنيي الضمير و الوعي مع العلم، وإلى كان العلم كارثة على الإنسان، وهذا معني العلم مع الضمير(الوعي).

– المبررات:

لماذا الحديث عن ربط العلم (البيولوجيا والطب على الخصوص) بالأخلاق والإطيقا؟ هناك عدة أسباب تدعونا إلى التفكير في هذا السؤال:

– منها الشعور بفقدان الإنسان لمكانته، وبالتالي فقدان الإنسانية لمعناها ودورها في مقابل تفضيل العلم، مما أكسه صفة الشمولية، والإستحواذ على تفكير الإنسان.

– منها التفكير في حجز (توفير) مكان ودور للإنسان في القرن 21 البيوتكنولوجي والتكنولوجي، فيما يتعلق بمصير حريته وكرامته، ومصيره على العموم.

– منها ثبات شعور الإنسان بنفسه، أي نفس الشعور منذ أن وجد، في مقابل التطور الذي يشهده العلم، مما يستدعي إعادة النظر في معنى الإنسان، والإنسانية، والحياة، والحي Le vivant، والمصير، والوجود وغيرها من المفاهيم التي ترتبط بتطور العلوم خاصة منها البيولوجية و الطبية.

في هذه الحالة لا يتعلق الأمر بالدعوة إلى الحديث عن البيوإتيقا فحسب، بل هناك دعوة إلى تجاوز ذلك والحديث عن ما يمكن أن نسميه الأنثروإطيقا[7] L'anthropoéthique حتى نتمكن من إعادة وضع الإنسان في قلب هذا النوع من التفكير (البيوإتيقا). ربما هذا ما يميّز اللجان البيوإطيقية اليوم التي تحاول توفير الجو الملائم للنقاش الذي يجمع كل الشرائح الاجتماعية حول المسائل التي تثيرها نتائج التطبيقات العلمية السلبية.

7 كلمة مركبة من أنثروبولوجيا وإطيقا، وتعني إطيقا الأنثروبولوجيا.

– مراجع المحور:

– هابرماس، مستقبل الطبيعة البشرية نحو نسالة ليبرالية، ترجمة: جورج كنتور، المكتبة الشرقية، 2006.

- Edgar Morin, Science avec conscience, Fayard, 1982.

- Alain Pompidou, Introduction à l'éthique de la science, Commission mondiale d'éthique des connaissances scientifiques et des technologies, Session extraordinaire, Siège de l'UNESCO, 28-30 juin 2010.
- https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000188503

- Alain Pompidou, Science et éthique.
- http://www.belspo.be/belspo/organisation/publ/pub_ostc/Eth_code/Pompidou_fr.pdf

- François Rabelais, Pantagruel, Chapitre 8, Les éditions de Londres, 2014.

- Sainton. J, Du rapport entre la science et l'éthique, Revue : éthique et santé, 14/ 2017.

- A. de Broca, De la Bioéthique à L'anthropoéthique, revue, Éthique et santé, 4/41-43, 2007.

❖**المحور السادس: مستقبل الإنسان**

عناصر المحور:

– تمهيد

– المفاهيم:

أ)ما بعد الإنساني– ب) الغاية – ج) الإنسان الآلة

– الثورات الثلاث المستقبلية GNR

– نتائج وأخطار الثورات المستقبلية

– المعارضون

– مراجع المحور

تمهيد: يظهر من خلال قراءتنا لكتب الخيال العلمي، قدرة الإنسان على تصور مستقبله، بل الأكثر من ذلك، إن التأمل فيما يخوضه من بحوث وتجارب في مختلف مجالات الحياة، يكشف لنا عن استعداده للعيش في بيئة غير البيئة التي يعيش فيها. ربما هذا الذي يريد التنظير له المفكرون في المستقبل Futurologues، حين رسموا الغايات التي يريد الإنسان بلوغها، مثل اللجوء إلى كواكب أخرى في حال شعوره بأنه مهدد بالموت على الأرض، أو تصوّر نوع من الذكاء الاصطناعي Intelligence artificielle الذي يفوق ذكاء الإنسان نفسه، أو التفكير فيما يمكن أن يستخلف الإنسانية من نوع جديد كالإنسان نصف آلة أو ما يسمى بالسايبورغ Le cyborg عن طريق زرع جزء من الأعضاء الاصطناعية الآلية في جسمه، قصد التخلص من الأمراض، وإطالة الحياة.

إن هذا التصور مبني على الإيمان بأن التقنية، أو التكنولوجيا بإمكانها أن تحقق ذلك، أي إنسان غير الإنسان الذي نعرفه، أو بشر من نوع خاص، أو آلات تؤدي كل الوظائف المنوطة به؟ ومن هذا المنطلق تثار إشكالية مستقبل الإنسان ومصيره في ضل هذا التطور المذهل والسريع للتكنولوجيا على كل المستويات؟. لقد أصبح النقاش الفلسفي يدور حول ما بد الإنساني، وليس الإنساني في حد ذاته، وحول التغيّر والتحول الإنساني، مما أفرز بعض المفاهيم الجديدة مثل مفهوم ما بعد الإنساني Le posthumain ، وتبني له حركة فكرية يقودها ما بعد إنسانيين Le posthumanisme، ومفهوم آخر قريب من الأول ويحمل معنى مثل التحوّل والتغيّر الإنساني Le transhumain وتتبناه نفس الحركة Le transhumanisme . نحاول في هذه الحاضرة توضيح هذه المعاني، والإجابة عن هذه التساؤلات.

1– المفاهيم:

أ) ما بعد الإنساني Le posthumain:

إن الحديث عن ما بعد الإنساني ليس ضربا من الخيال، بل هو حديث عن ما يمكن أن تحققه العلوم والتكنولوجيا من تحسين في الجنس البشري، بمحاولة القضاء على الأمراض، وإطالة الحياة،

وإيجاد نوع من الذكاء الاصطناعية من حواسيب، وآلات ذكية تعين الإنسان على المهام المعقدة، وغيرها من التقنيات في جميع مجالات الحياة الإنسانية، خاصة في مجال البيولوجيا والطب.

– أولا: لقد حاول الإنسان منذ زمن التعديل في وجوده (حياته) حتى اليومية منها كي يحدث نوع من التكيف، والتناسق مع الموجودات غير الإنسانية Non humain التي تحيط به. مثل ذلك، ما نلاحظه في بعض البلدان المتقدة تكنولوجيا، والتي تحاول أن تُسند للرجل الآلي (الربوهات) Les robots بعض من المهام التي في زمن ما، لا يمكن أن تكون لغير الإنسان، مثل بعض الواجبات، وبعض الحقوق، وهذا ليل على أن الإطيقا (الأخلاق) تجاوزت الحدود الإنسانية، وانتقلت إلى اللاإنساني. والأكثر من ذلك، هناك تصور (Poshumanisme) يرى إمكانية العيش معا (الإنسان والآلة–الربوهات) وذلك من خلال عملية تهجين Hybrider الإنسان والحيوان، والآلة وبالتالي تحقيق نوع من الذكاء غير البيولوجي Intelligence non biologique، وتجاوز كل العقبات التي تفرضها الطبيعة، بمعنى آخر تجاوز الطبيعة الإنسانية La nature humaine بطبيعة أخرى اصطناعية Artificielle.

ب) الغاية:

– محاول بعض العلماء اليوم تقديم للإنسانية إمكانية التخلص من ضعفها، وإعادة بنائها بواسطة الأداة التكنولوجية.

– توسيع دائرة قيمنا وفقا لواقع قمنا بتصنيعه بواسطة التقنية، مثال: الاستنساخ الإنساني، السايبورغ، الربوهات، الحواسيب، وغيرها. بمعنى إشراك اللاإنساني في القيم، أي صنع قيما أخرى تتماشى مع واقعنا الجديد، وليد التكنولوجيا.

هذا النوع من التفكير يندرج ضمن أفق الحداثة، وهو نوع من التفكير في الما بعد، أين يتصور الإنسان ما بعده الذي رسمه. إن التطور العلمي يضعنا في إحراج، أن نختار بين الحفاظ أو التفريط في هويتنا في إطار تكنولوجيا صنعناها، ونحن على يقين بأنها سوف تتفوق علينا.

إن المؤيدين لفكرة ما بعد الإنساني، يؤمن بحلول هذا المستقبل، بل الأكثر من هذا، يؤمنون بأن من الواجب، والمعقول الذهاب في هذا الاتجاه، خاصة إذا علمنا بأن التكنولوجيا، وخاصة منها البيوتكنولوجيا تخلص الإنسان من معاناته الجسدية والنفسية. يذكرنا هذا بموقف فرانسوا داغوني François Dagognet من التقنية، أين يعتقد بأنه إذا كان القليل من التقنية له تأثيرات سلبية، فإن الكثير منها يسمح بمحاربتها.

Si un peu de technique engendre des inconvénients, beaucoup de techniques permettent de les combattre.

– الإنسان الآلة:

إنسان اليوم محاط بالآلات التي صنعها وابدع في صنعها. فيما مضى كان يستعين بها في بعض بأعماله الجسدية، لكن بعد الحادثة التي حصلت سنة 1997 يوم خسر أبرع لاعب شطرنج كاسبروف Gary Kasparov وهو يلعب ضد الحاسب Deep Bleu الذي اخترعته شركة IBM. وقد كشفت تلك الحادثة أن الآلة يمكنها أن تنافس الإنسان، وتفكر مثلما يفكر أو أحسن منه، وهذا ما يؤكده بعض المبشرين من العلماء، بحيث يعتقدون أن بعد بضع سنين ستكون الآلة أذكى من الإنسان، وبالتالي يكون اتحاد البحوث العلمية في المجالات:

النانوتكنولوجيا، والبيوتكنولوجيا، والإعلام الآلي والعلوم المعرفية (NBIC) **N**anotechnologie, **B**iotechnologie, **I**nformatique et Sciences **C**ognitives يبشر بمولد الإنسان الأعلى، وهو الإنسان الأقوى، والأذكى، والأنقى من الأمراض والألم، والشيخوخة.

في هذا الاتجاه تنمو حركة الما بعد الإنسانيين، الذين يبشرون بمستقبل يسكنه الإنسان المهجن، أو الإنسان الآلة، أو الحاسوب.

– الثورات الثلاث المستقبلية GNR:

يتحدث المنظرون للمستقبل عن ثورت ثلاث في ثلاث مستويات تحدث مستقبلا:

1– الجينية Génétique: يتقاطع فيها المعلوماتي مع العالم البيولوجي، منها الرقاقات الجينية Les puces génétique – الإستنساخ للحفاظ على الجنس البشري، وعلى الأنواع في طريق الإنقراض – منها كذلك، هندسة الخلايا الجسدية البشرية، وغيرها من التقنيات.

2– النانوتكنولوجية: يتقاطع فيها المعلوماتي مع العالم الفيزيائي، ذلك، إن جل المفكرين في المستقبل، والمهتمين بدراسته Les futurologues ، الطوباويون Les utopistes، يبشرون بحلول زمن ما بعد الإنساني، مصحوب بهيمنة نوع من الذكاء غير البيولوجي Non biologique. أين سوف نقوم بتحويل أجسادنا كلية بفضل الملايير من النانو–ربوهات Les nanorobos التي تجري في دمنا، في اعضائنا وفي أدمغتنا، وتقوم بتصحيح الأخطاء على مستوى DNA، وتقضي على السموم، وتقوم بكل الوظائف التي تضمن لنا عيشة هنيئة. إننا سوف نتحول إلى سايبورغ[8] Cyborg.

3– الروبوتية Robotique: تكون نتيجة قوة الذكاء الإصطناعي – الألغوريتمات الجينية Algorithmes génétiques.

– نتائج الثورات المستقبلية:

من نتائج هذه الثورات، الخلود ما بعد البيولوجي Immortalité Postbiologique على المستوى:

– الجسدي البيولوجي: إمكانية إعادة رسم الجهاز الهضمي (طريقة جديدة في الأكل– إعادة رسم الدماغ (نتحول إلى سايبورغ) – التحول إلى شخص آخر – توظيف وسائل أخرى للتواصل – توسيع الفكر.

– على مستوى إطالة الحياة: الانتقال إلى التجارب غير البيولوجية

– على المستوى الحربي: النانوسلاح (غبار ذكي) – سلاح ذكي.

– على المستوى العمل: الخصائص الذهنية اللامركزية.

[8] السايبورغ Le cyborg أو cybernetic organism بالإنجليزية وهو الكائن جزء منه بشري والجزء الآخر آلة، أي تزرع فيه أعضاء اصطناعية.

– على مستوى المصير الذكي للكوسموس: لماذا نحن الوحيدون في الكون؟، حاسوب على مستوى الكون، الكون الهولوغرافي L'univers Holographique كون التصوير المجسم، أكوان تتطور، مراجعة حدود الحساب، التوسع خارج النظام الشمسي.

– المعارضون:

من هنا يحق لنا طرح بعض الأسئلة المحرجة:

– هل سنكون بشرا ؟ من أنا؟ من سأكون؟

إنه اللقاء مع اللاإنساني.

باختصار، يعتقد بعض مفكري المستقبل أمثال ديون فارمر J.Doyne Farmer أحد مؤسسي حركة الحياة الاصطناعية Vie artificielle والمنخرط في حركة المناصرة لفكرة الذكاء الاصطناعي IA أنه بعد 50 إلى 100 سنة يظهر نوع جديد من الكائنات الحية، وهذه الأنظمة ستكون اصطناعية، بمعنى أننا سنشهد أفول الإنسان، وظهور حضارة روبوتية فائقة.

من هذا المنطلق يمكن طرح السؤال: الحديث ما هي الأخطار التي تفرزها البيوتكنولوجيا مستقبلا؟ عن هذا السؤال يجيب الكاتب الأمريكي وصاحب الدراسات الاستشرافية Jerémy Rifkin من خلال كتابه: Le biotech : Le commerce des gènes dans le meilleur des mondes (1999) siècle بعد طرح سؤال محرج: ما الذي يجعل منا كائنات إنسانية؟ ما الذي نحفظه فينا للحفاظ على إنسانياتنا؟ باختصار ما هي أخطار البيوتكنولوجية؟ يعدد الكاتب هذه الأخطار كالتالي:

– التميُّز الجيني في حضارة يوجينية (مُحَسَّنَة جينيا).

– هلاك النظام البيئي بواسطة التغيير والتعديل في الإرث الجيني.

– ظهور أمراض إنسانية جديدة.

– فقر الدول السائرة إلى النمو نتيجة استحواذ الدول القوية على الموارد الجينية في الأرض.

لا يتوقف حلم المبشرون والمناصرون لفكر ما بعد الإنساني والمؤيدين له، والذين يقولون بضرورة، وحتمية بلوغ تلك المرحلة أين يتحول الإنسان إلى كائن آخر يمتزج فيه البشري الطبيعي بالاصطناعي. إلا أن هذا الحلم لا يقاسمه الكثير ممن ولّد العلم والتكنولوجيا لديهم **أخلاق الخوف من العلم**، دفعهم هذا إلى معارضة حركة ما بعد الإنسانيين. فهذا الطبيب والبيولوجي الأمريكي المحافظ ليون كاس Leon Kass 1939 يعارض فكرة الإستنساخ منذ 1960، وذلك بمساهمته في تطوير فكرة البيوإتيقا إلى بيوإطيقا غنيّة التي لا تهتم بدراسة الحالات الخاصة، بل التي تهتم بالقضايا الأكثر سعة وشمولية، مثل تلك التي تتحدث عن علاقة التطور الإنساني، بالتطور التقني.

في هذا الإطار ألف ليون كاس 2003 كتابا تحت عنوان "ما بعد العلاج: البيوتكنولوجيا وملاحقة الرغبات" Beyon therapy أو Au-delà de la thérapie وهو عبارة عن تقرير مهم ضد إيطوبيا البيوتكنولوجية لما بعد الإنسانيين. بالنسبة لهذا الطبيب، تعمل التكنولوجيا على إرضاء بشكل جزئي وسطحي الرغبات المطلقة لتعالي الطبيعة الإنسانية، فبالرغم من أننا لم ندرك بعد مرحلة ما بعد الإنساني، يبدو، في اعتقاده، أن خصائص بعض الدول المتطورة توحي بأنها فعلا شرعت في السعي إلى تحقيق هذه المرحلة، طبعا من خلال التطبيقات العلمية.

لقد لقي تقرير ليون كاس معارضة قوية من طرف حركة ما بعد الإنسانيين، منهم الفلاسفة أمثال ماكس مور Max More، ومنهم مناصري فكرة الذكاء الاصطناعي IA أمثال راي كرزفايل Ray Kurzweil وهانز مورافيك Hans Moravec، وكذا الذين يدافعون عن فكرة إمكانية تحديد واختيار الخصائص الجينية التي يرغب الوالدين رؤيتها في أبنائهم.

لكن بالنسبة لليون كاس، تحاول هذه المعارضة أن تلفت انتباه الأمريكيين، فحسب، دون التأثير عليهم، على الأقل في هذه الفترة، لأن هم العلماء هو العلاج ومحاربة الألم، وليس محاولة التحسين في الطبيعة الإنسانية، والتغيير في الشرط الإنساني La condition humaine، ويفضلون ترك هذه الأمور للمختصين في علم الخيال العلمي، وللذين يؤمنون بفكرة الخلود.

أن يكون لك جسدا لا يشيخ، ومعنويات مرتفعة وحياة هنيئة دائمة، وأن تلد أطفالا معدلين جينيا، أو أن تدرك مستوى من القوة والدقة والإتقان في العمل، هذه عبارة عن رغبات إنسانية الدائمة، لكن هذا لا يدفعنا بالضرورة إلى الانخراط في صفوف حركة ما بعد الإنساني، أو حركة التغير الإنساني لكي نطلع على هذه المشاريع، لأن هذه الأخيرة هي أصلا تمثل قاعدة الدوافع الإنسانية الأكثر أهمية.

يكون الإنسان قد حقق منها الكثير في حدود حاجته لهذه المشاريع، منها ما يخفف آلامه، لكن أن يستعمل معالجة فقر الدم من طرف الرياضيين لغاية بلوغ القوة القصوى، فهذا المشروع يخدم رغبات الإنسان الدائمة والمطلقة وحين يدركها، **يدرك معها أنه لم يبقى له شيء يحققه ولم تعد لديه الرغبة في تحقيق هذه المشاريع لأنها ببساطة قد تحوله إلى إنسان آخر.**

تلك هي المسائل البيوإطيقية الحقيقية التي ينبغي طرحها.

لم تعد التقنية تتحمل ولا حكما قيميا، ولم يعد التقني يتحمل أي ملاحظة أخلاقية حول عمله، ولم تعد تطرح مسألة الخير والشر، المسموح به أو الممنوع، إنها العودة إلى الغاية تبرر الوسيلة، وهي من مفرزات الليبيرالية. لذلك يتطلب منا مراجعة المسائل البيوإتيقا الأكثر عمقا والتي، في نظري، تتصل بمسألة مصير الإنسان في ظل التطورات التكنولوجية، والبيوتكنولوجية على الخصوص. مهما يكن للتقنية دور يتوقف على استعمالاتنا لها بالإيجاب أم بالسلب، لذلك مصير الإنسان متوقف على حكمته في توظيف قدراته العلمية، ربما هذا يجعل منا متفائلين، من جهة وينتابنا الخوف من جهة أخرى، خاصة إذا قدر الله، وشاء أن تقع هذه التقنية في أياد سوء، مثلما حصل مع ألمانيا النازية، وبعض الأنظمة الدكتاتورية.

مراجع المحور:

- Jean-Michel Besnier, Demain les posthumains (le future a-t-il encore besoin de nous ?,Edition Pluriel, Paris, 2012.

- Béatrice Jousset-Couturier, Le Trans-Humanisme : Faut-il avoir peur de l'avenir ?, Edition, EYROLLES, 2016.

- P. Boitte, Quelques remarques sur la question du « Posthumain », à partir de D.Lecourt et D.Janicaud
- http://dx.doi.org/10.1016/j.etiqe.2012.06.006.

- Ray Kurzweil, HUMANITE 2.0 La bible du changement, tradM Adeline Mesmin, M21 Editions, Paris, 2007. Pp172-182.

-Rojer-pol droit, (Propos recueillis), les grands entretiens du monde, Penser la philosophie.

- Sherry Turkle, The second self, – Computers and the Human Spirit, Broché, 2005.

- Earl Cox, Beyond humanity : Cyber revolution and future minds, Broché, 1996.

- Dominique Vinck, Humanité numérique : La culture face aux nouvelles technologies, Edition, Le Cavalier Bleu, 2016.

- Jacques Dufresne, Après l'homme le cyborg ?, Edition, MultiMondes, 1999.

- Arthur Perret, « MOUNIER Pierre, 2018. *Les humanités numériques : une histoire critique* », *Revue française des sciences de l'information et de la communication* [En ligne], 16 | 2019, mis en ligne le 01 mai 2019, consulté le 17 juillet 2020. URL : http://journals.openedition.org/rfsic/5872.

- Leon Kass, Beyond therapy : Biotchnology and the pursuit of happinesss, ReaganBooks, 2003.

- Antoine Rabitaille(propos recueillis) : Leon Kass, La postmodernité ou la piège des désires sans fin, revue, ARGUMENT, vol 7, N°1, 2004.

- Alain Olivier, Autour d'un livre : Le siècle biotech : Le commerce des gènes dans le meilleur des mondes (1999) de Jerémy Rifkin, revue, ARGUMENT, vol1, N° 2, 1999.

- Jocelyne Saint-Arnaud, Enjeux éthiques et technologies biomédicales : contribution à la recherche en bioéthique, Les presses de l'université de Montréal, Canada, 2006.

- Dominique Lecourt, humain posthumainM La technique et la vie, puf, 2003.

البيوإتيقا والكورونا:

بالرغم من وجود البيوإتيقا La bioéthique منذ حوالي خمسين سنة، تبقى غير معروفة في كثير من الشعوب دول العالم منها الجزائر.

البيوإتيقيين Les Bioéthiciens متخصصون في مجال الأخلاق التطبيقية Éthique appliquée ويشتغلوم في مختلف الشعب المعرفية كالفلسفة، والعلوم الإجتماعية، والحقوق، والطب وغيرها من المجالات، لذلك كان التعالق أو التكامل المعرفي عماد هذا النشاط (البيوإطيقا)

في أغلب الأحيان يكمن دور البيوإتقيين في مناقشة بعض التطبيقات أو القرارات التي لا تنسجم مع القواعد الأخلاقية. كما أن لهم أحيان المساندة في إخاذ القرارات الصعبة في مجال الصحة، مثل المسائل المتعلقة بالموت الرحيم، والإجهاض وغيرها من التقنيات الطبية التي تثير مسائلات إطيقية.

يشتغل البيوإطقيين في مجالات عدة، البعض منهم في مجال البحث العلمي الجامعي، ويدرسون مقاييس حول إطيقا الطب L'éthique médicale أو أخلاقيات مهنة الطب déontologie médicale، ويمكن للبيوإطيقي التدخل لمناقشة والتعليق على قضايا الساعة من خلال وسائل الإعلام أو من خلال اللجان الإطيقية، مثل الوضعية الإنسانية الوبائية

من هنا يمكن القول أن البيوإطيقيين يلعبون دورا أساسيا في الأزمة الوبائية الحالية (COVID19) عن طريق التخفيف من ثقل مسؤولية اتخاذ القرارات من طرف المسؤولين والمتخصصين في مجال الصحة، بحيث يحاول البيوإطقيون اليوم تقديم يد العون لمسيري هذه الأزمة وللأطباء وذلك بتحديد مختلف الوسائل والطرق للتخفيف من عدد الوفيات في وسط المسنين مثلا، وكيف يمكن ضمان كرامة الموتى، والكرامة الإنسانية على العموم.

قائمة المراجع المعتمدة في المقياس:

مراجع باللّغة العربية:

- إمام عبد الفتاح إمام: الأخلاق والسياسة، دراسة في فلسفة الحكم، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2002.
- إدريس هاني: أخلاقنا في الحاجة إلى فلسفة أخلاقية بديلة، مكتبة مؤمن قريش، ط 01، بيروت، لبنان، 2009.
- أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفيّة، الجزء 01، منشورات عويدات، ط 02، بيروت، باريس، 2001.
- أبو بكر محمّد بن زكريّا الرّازي: أخلاق الطّبيب، تحقيق: عبد اللّطيف محمد العبد، مكتبة دار التّراث، ط 01، القاهرة، مصر، 1977.
- إ.م بوشنسكي،الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة، عزت قرني، *1992*،
- إ. هوسرل، أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية، ترجمة، إسماعيل المصدق مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، 2008.
- إ. هوسرل، فكرة الفينومينولوجيا، ترجمة، فتحي انكزو، المنظمة العربية للترجمة، 2007.
- جاكلين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، تر: عادل العوا، عويدات للنشر و الطباعة، ط 01، بيروت، لبنان،
- جورج سارتون، تاريخ العلم، ج1 .
- ديفيد رزنيك: أخلاقيّات العلم، تر: عبد النّور عبد المنعم، مراجعة: يمنى طريف خولي، عالم المعرفة، الكويت، 2005.
- طريف الخولي يمنى، فلسفة العلم في القرن العشرين،سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 264 ، ديسمبر2000م.
- العمري حربوش، إبستيمولوجيا الطب والبيولوجيا في فلسفة فرانسوا داغوني، دار الأيام، الأردن، 2016.
- عمر بوفتاس: البيوإتيقا: الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا، د. ط، أفريقيا الشرق، المغرب، 2011.
- علي عبود المحمداوي (تحت إشراف)، مجموعة من الأكاديميين، البيوتيقا والمهمة الفلسفية (أخلاق البايولوجيا ورهانات التقنية)، الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة، 2014.
- كانغلام، دراسات في تاريخ وفلسفة العلوم، ترجمة، محمد بن ساسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، *2007*.

- ليود سبنسر، أقدم لك عصر التنوير، ترجمة، إمام عبد الفتاح إمام،2005.
- محمد جديدي: البيوإتيقا مقاربة علمانية، مؤسسة دراسات و أبحاث، د. ط، الجزائر، 2015.
- محمد جديدي، البيو-إطيقا ورهانات الفلسفة القادمة، محاضرة ألقيت خلال الملتقى الدولي الثالث للفلسفة، بالمكتبة الوطنية الجزائر العاصمة 25/ 26، أفريل 2007 .
- محمد عابد الجابري : قضايا في الفكر الغربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 3، 2008. 2001.
- محمد نزار خوام وزملاؤه: تاريخ العلاج والدّواء في العصور القديمة، د. ط،
- هابرماس، القول الفلسفي للحداثة، ترجمة: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، سورية، 1995.
- هابرماس، مستقبل الطبيعة البشرية نحو نسالة ليبرالية، ترجمة: جورج كنتور، المكتبة الشرقية، 2006.
- ويل ديورانت: قصّة الحضارة، دون دار النّشر، ط 02، المجلّد الرابع.

مراجع اللّغة الأجنبية:

- A. de Broca, De la Bioéthique à L'anthropoéthique, revue, Éthique et santé, 4/41-43, 2007.

- Alain Pompidou, Introduction à l'éthique de la science, Commission mondiale d'éthique des connaissances scientifiques et des technologies, Session extraordinaire, Siège de l'UNESCO, 28-30 juin 2010.
- https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000188503

- Alain Pompidou, Science et éthique.
- http://www.belspo.be/belspo/organisation/publ/pub_ostc/Eth_code/Pompidou_fr.pdf

- Antoine Rabitaille(propos recueillis) : Leon Kass, La postmodernité ou la piège des désires sans fin, revue, ARGUMENT, vol 7, N°1, 2004.

- Alain Olivier, Autour d'un livre : Le siècle biotech : Le commerce des gènes dans le meilleur des mondes (1999) de Jerémy Rifkin, revue, ARGUMENT, vol1, N° 2, 1999.

-Anne Fagot-Largeault, Biologie et devenir technologique de l'homme, in, Le devenir de la bioéthique
- http://dx.doi.org/10.1016/j.crvi.2015.07.001

- Alexandre Koyré, Étude d'histoire de la pensée scientifique, Gallimard, 1985.

-Antoine Courban. Ethique de la Bioéthique. Thème d'une conférence donnée à Damas le 06/12/2003. Texte publié à Beyrouth dans la revue " travaux et jours". N°73. Printemps 2004.

- Arnaud Desjardin, compte-rendu, François Dagognet, les grands philosophes et leurs philosophie. Une Histoire Mouvementée et Belliqueuse, Les empêcheurs de penser en rond, Paris, 2002, p. 10.
http://www.ac-amiens.fr/pedagogie/philosophie/lecture/dagognet06/01/2006.

- Arthur Perret, « MOUNIER Pierre, 2018. *Les humanités numériques : une histoire critique* », *Revue française des sciences de l'information et de la communication* [En ligne], 16 | 2019, mis en ligne le 01 mai 2019, consulté le 17 juillet 2020. URL : http://journals.openedition.org/rfsic/5872
- François Rabelais, Pantagruel, Chapitre 8, Les éditions de Londres, 2014.

Béatrice Jousset-Couturier, Le Trans-Humanisme : Faut-il avoir peur de l'avenir ?, Edition, EYROLLES, 2016.

- Cohen Jean, Fécondation, in, Don de gamètes et d'embryons. https://www.universalis.fr/encyclopedie/fivete/4-don-de-gametes-et-d-embryons/

- D. Lecourt, (Sous la direction), Dictionnaire d'histoire et de philosophie des sciences, puf, 2006.

- Dominique Lecourt (Sous la direction). Dictionnaire de la pensée médicale, puf . 2004.

- Dominique Lecourt, humain posthumainM La technique et la vie, puf, 2003.

- Dominique Vinck, Humanité numérique : La culture face aux nouvelles technologies, Edition, Le Cavalier Bleu, 2016.

- Earl Cox, Beyond humanity : Cyber revolution and future minds, Broché, 1996.

- Edgar Morin, Science avec conscience, Fayard, 1982.

- Francesco d'Agostino, La bioéthique dans la perspective de la philosophie du droit, pu Laval, 2005.

- François Dagognet . faces, surfaces, interfaces. Librairie philosophique J.VRIN. Paris. 1982.

- François Dagognet Nature. Librairie Philosophique. J.Vrin . Paris. 1990

- François Dagognet, Le vivant, Edition Bordas. Paris, 1988.

-François Dagognet, *Pour un éventuel élargissement de la bioéthique* Cités, No. 3, Le corps humain sous influence: La bioéthique entre pouvoir et droit(2000).
- http://www.jstor.org/stable/40620679

- François Dagognet, L'homme maitre de la vie?, Bordas, 2003.

- Guy Durand, La bioéthique(Nature, Principe, Enjeux), Les éditions du cerf, France? 1989.

- Hans Jonas, Le principe responsabilité, Une éthique pour la civilisation technologique, Broché, 2013.

- Hubert Doucet, Religiologique, Religion et Bioéthique, Réflexion sur leur relation Daniel Callahan, Why America Accepted Bioethics, The hastings center report, 23 november. December, 1993-1996.
- http://www.unites.uqam.ca/religiologiques

- Jacques Dufresne, Après l'homme le cyborg ?, Edition, MultiMondes, 1999.

- Jean-Michel Besnier, Demain les posthumains (le future a-t-il encore besoin de nous ?,Edition Pluriel, Paris, 2012.

- Jocelyne Saint-Arnaud, Enjeux éthiques et technologies biomédicales : contribution à la recherche en bioéthique, Les presses de l'université de Montréal, Canada, 2006.

- Leon Kass, Beyond therapy : Biotchnology and the pursuit of happinesss, ReaganBooks, 2003.

- Michel Henry, phénoménologie de la vie, T1, De la phénoménologie, 2003.

- P. Boitte, Quelques remarques sur la question du « Posthumain », à partir de D.Lecourt et D.Janicaud
- http://dx.doi.org/10.1016/j.etiqe.2012.06.006
- Raoul Vaneigem, Ni pardon ni talion(La question de l'impureté dans les crimes contre l'humanité), Edition, La Découverte, Paris, France, 1961.

- Ray Kurzweil, HUMANITE 2.0 La bible du changement, tradM Adeline Mesmin, M21 Editions, Paris, 2007. Pp172-182.

- Robert Maggiori, , débat animé, A quoi sert La Philosophieédition de la bibliothèque d'information, Centre Pompidou, 2005,document P.D.F
- http://www.bpi.fr,rubrique. 25/05/2006

-Rojer-pol droit, (Propos recueillis), les grands entretiens du monde, Penser la philosophie.

- Sainton. J, Du rapport entre la science et l'éthique, Revue : éthique et santé, 14/ 2017.

- Sherry Turkle, The second self, – Computers and the Human Spirit, Broché, 2005.

-Stanton-Jean M. Les pièges des mots rendent-ils impossible une vision globale de la bioéthique ? Ethics, Medicine and Public Health (2017).
- http://dx.doi.org/10.1016/j.jemep.2017.04.001

- Xavier Ducrocq, Débat sur l'euthanasie : regard philosophique sur le respect de l'autonomie, revue, Médecine Palliative, Volume 7, Issue 2, April 2008, pp 104-105.
- https://doi.org/10.1016/j.medpal.2007.10.002 1989.

نصوص لها علاقة بالمقياس

النص : 7

قلق الانسان ازاء تطور البيولوجيا

لقد بلغت البيولوجيا من تطوّرها درجة ستصيب فيها اكتشافاتها الانسان نفسه . وإن كنّا لا نملك إلا أن نعجب بالفتوحات التي تجعل من هذا العلم الناشئ ضربا من السّحر الايجابي ، فكيف ندفع عن أنفسنا بعض ما يملؤها من القلق حين نرى هذا العلم لا يفتأ يمدّ سلطانه ويقف متأهّبا لتجريب قدراته على الشخص الانساني الذي ظل إلى الآن غير منتهك ؟ إن العلماء في مخابرهم يلهون بالحشرات والضفادع والطيور . فهذا يقلب جنس دجاجة بإدخال مادّة كيميائية في الجنين . وذاك يثقب بيضة بمسبر مشحون دما فيوجد بذلك شرغوفا (1) من غير أب . ويكفي ذاك قطرة لمف (lymphe)(2) ليغيّر لون عيني ذبابة ... وهل نملك غدا غير أن نطبّق على أنفسنا هذه الوصفات الغريبة ؟ إن أطفالنا سيكونون غدا مادّة للتجارب . سنحدّد جنسهم ، وسنفرض عليهم ، باستعمال هرمونات إضافية ، شخصية معينة جسديًا وذهنيًا . فلنحجم ، في هذا الصدد على الأقل ، عن الافراط في التفاؤل بالمستقبل . أمّا أنا فإني أفضّل أن أكون عشت في الزمان الهمجي الذي كان فيه الآباء يقنعون بمن ينجبون صدفة ، لأني لست على يقين من أن هؤلاء الأبناء الذين يجيؤون بالتعديل والتدبير يثيرون في أنفسنا من المشاعر ما يثيره فيها أبناؤنا وإن كانوا طارئين ومنقوصين ومخيّبين للآمال .

ويوم يغدو بإمكاننا أن نشكّل الكائنات ، ما عسى أن يبقى من أحكامنا المسبّقة القديمة عن الجدارة وعدم الجدارة ؟ وكيف ترى سنحكم على الانسان الذي يحق له أن يقول : "لم أولد كما كان ينبغي أن أكون ، ولست أنا" ؟

لنا أن نتوقّع أن العلم سيبلغ قريبا درجة يصبح معها قادرا على التحكم في السّلوك الانساني ، وعلى إكساب الأفراد ضربا من القدرات الاصطناعية . أمّا الذين يؤمنون بالروح ، فلا جدال عندهم في أنّ هذه الوسائل التقنية لا تؤثر فيها من قريب ولا من بعيد . كل ما هنالك ، أن بعض الأرواح الشريرة ستجد نفسها مضطرة لحسن السلوك ، ولكن ذلك لن يجعلها بمنجى من العقاب ، فيكون الجحيم مفروشا بصالح الأعمال .

جان . روستون (3)

خواطر عالم بيولوجي

J. Rostand,
Pensées d'un Biologiste,
Gallimard, PP 36-37

النص : 29

الثورة العلميّة الحديثة

لن أسعى ، في هذا المقام إلى تفسير البواعث والأسباب التي أحدثت ثورة القرن السادس عشر الفكريّة وإنّما حسبنا أن نصف الموقف الذهنيّ أو الفكريّ للعلم الحديث وأن نسمه بسمتين متكافلتين هما : أوّلا ، تدمير «الكوسموس» (Cosmos) وبالتالي زوال كلّ الاعتبارات القائمة على هذه الفكرة من العلم . وثانيا ، هندسة (Géométrisation) المكان بمعنى إحلال المكان المتجانس والمجرّد للهندسة الإقليديّة محل تصوّر لمكان كوني متمايز كيفيّا ومحسوس ، أي مكان الفيزياء قبل الغاليليّة . ويمكن أن نلخّص هاتين السمتين ونعبّر عنهما كالآتي : ترييض (هندسة) الطبيعة وبالتالي ترييض (هندسة) العلم .

إن انحلال «الكوسموس» يعني تحطيم فكرة : إنّها فكرة عالم ذي بنية متناهية ، عالم متفاضل الترتيب ومتمايز كيفيّا من الزاوية الانطولوجيّة . لقد استبدلت هذه الفكرة بفكرة الكون المفتوح غير المحدّد بل حتىّ اللامتناهي . هو كون توحّده نفس القوانين الكونيّة وتحكمه . إنّه كون تنتمي فيه كلّ الأشياء إلى نفس المستوى من الوجود بخلاف النظرة التقليديّة التي كانت تميّز بين عالميْ السماء والأرض وتقابل الواحد بالآخر . فقد أصبحت الآن قوانين السماء وقوانين الأرض منصهرة معا ، بحيث غدا علم الفلك وعلم الفيزياء مترابطين بل وحتّى موحّدين ومتّحدين . وهو ما يعني أن كلّ الاعتبارات القائمة على القيمة والكمال والتّجانس والدلالة والقصد قد اختفت من المنظور العلمي . لقد اختفت في الفضاء اللامتناهي للكون الجديد . ففي هذا الكون الجديد بالذات ، وضمن هذا العالم الجديد الذي تحقّقت فيه الهندسة ، تكتسب قوانين الفيزياء الكلاسيكيّة قيمة وتطبيقا .

إنّ انحلال «الكوسموس» ، وألحّ على ذلك ، شكّل على ما يبدو لي ، أعمق ثورة قام بها أو انفعل بها الفكر البشري منذ أن أنشأ الإغريق «الكوسموس» . إنّها ثورة على غاية من العمق وذات التبعات الأقصى إلى حدّ أنّ البشر -فيما عدا استثناءات فائقة النّدرة ، منها باسكال (Pascal)- لم يدركوا منها ، طوال قرون ، المدى والمعنى . وهي لم تزل حتى الآن ، في غالب الأحيان ، لم تقدر حقّ قدرها ، ولم تدرك الإدراك الصحيح .

إنّ ما كان على واضعي العلم الحديث ، ومنهم غاليلي ، أن يصنعوه ليس نقد بعض النظريات الخاطئة ومقاومتها بُغية تصحيحها واستبدالها بنظريات أفضل ، بل كان عليهم أن

يقوموا بأمر مغاير تماما . لقد كان عليهم أن يقوّضوا علما وأن يعوّضوه بآخر . لقد كان عليهم أن يجدّدوا بنية ذكائنا نفسه ، فيعيدون صياغة مفاهيمه ويراجعونها ويتصوّرون الوجود على نحو جديد ويبلورون مفهوما جديدا للمعرفة ومفهوما جديدا للعلم بل كان عليهم أن يستبدلوا موقفا إلى حدّ ما طبيعيًا ، هـو موقف الحسّ المشترك ، بموقف آخر لا علاقة له البتّة بالموقف الطبيعي .

ألكسندر كويري

دراسات في تاريخ الفكر العلمي

A. Koyré,

Etudes d'Histoire de la Pensée Scientifique

Paris, Gallimard, 1973, PP 170-171

النص : 4

أزمة العلم

إن العلوم جميعا ، بما فيها كلّ العلوم التي ينبغي إنشاؤها ، وكلّ العلوم التي هي في حيّز العمل بعد ، لا تعدو أن تكون فروعا ، بل وفروعا تابعة للفلسفة وحدها لا غير . إن هذه الفلسفة الجديدة التي بلغت حدّ الجرأة وربّما حدّ الافراط في رفعها من معنى الكونيّة ، التي أصبحت منذ «ديكارت» سيّدة الموقف ، لا ترضى بأقلّ من أن تحوي في نظام تأملي موحّد كل القضايا ذات المعنى دون استثناء بطريقة علمية صارمة وفي منهجية عقلية يقينية ، وفي تقدّم للبحث غير متناه ، وإن كان منظّما تنظيما عقليا . وعلى هذا النحو ينشأ لدينا صرح فريد ، في تكوّن مستمر عبر لا تناهي الأجيال ، هو صرح الحقائق النهائية (القطعية) التي تترابط نظريا فيما بينها، ومن شأن هذا الصّرح أن يقدّم لنا الجواب عن كل ما يخطر ببالنا من قضايا ، سواء أكانت قضايا الواقع أم قضايا العقل ، وسواء أكانت قضايا الزمنية أم قضايا الابدية .

وتبعا لذلك ، فإن المفهوم الوضعي للعلم في عصرنا ، منظورا إليه من الناحية التاريخية ، هو مفهوم ترسّبي . فقد ألقى عرض الحائط بكلّ القضايا التي أدرجت ضمن مفهوم الميتافيزيقا ، بمعناه الضيّق حينا وبمعناه الواسع حينا آخر ، ومنها كل تلك القضايا التي يطلق عليها بشيء من الغموض اسم القضايا «القصوى والعليا» . فإذا أمعنا النظر بدا لنا أن هذه القضايا وكل القضايا التي أقصتها الوضعية ، إنّما تستمدّ وحدتها من كونها تحوي ، ضمنيا أو صراحة ، في معناها قضايا العقل ، أعني العقل في كل مظاهره الخاصّة . ذلك أن العقل هو الذي يوفّر صراحة الموضوع الذي تخوض فيه مباحث المعرفة (أعني المعرفة الحقيقية الأصيلة ، أي المعرفة العقلية) وعلم القيم الحقيقي الأصيل (نعني القيم الحقّ بما هي قيم العقل) والسلوك الأخلاقي (أي حسن التصرّف الحقّ أعني التصرّف انطلاقا من العقل العملي) .إن العقل في كلّ هذا عنوان للأفكار والمثل «المطلقة» «السرمدية » «المتعالية على الزمن» «المقبولة على نحو غيـر مشروط» . وكذلك ، فإن أصبح الانسان قضية «ميتافيزقية» أعني قضية فلسفية محض ، فإنّه لا ينظر في أمره إلاّ باعتباره كائنا عاقلا ، فإن كـان تاريخه هو الذي يوضع موضع الاستفهام ، فالأمر يتعلق بـ «معنى» التاريخ ، وبالعقل في التاريخ . إن قضية الإله تضم في الظاهر قضية العقل «المطلق» باعتباره مصدرا لا هوتيا لكلّ عقل في العالم ، كما تضمّ قضيّة «المعنى» في العالم . وبالطبع فإن قضية الخلود هي أيضا قضية عقلية وكذا الشأن بالنسبة إلى قضية الحريّة . إن كلّ هذه القضايا «الميتافيزيقية» بالمعنى الواسع ، أي القضايا الفلسفية البحت بالمعنى المألوف للكلمة تتجاوز «العالم» باعتباره «كلاّ جامعا» لوقائع بسيطة . وهي تتجاوزه على وجه الدقة بوصفها قضايا تهزّ فكرة العقل . وهي

كلّها تدّعي مقاما أسمى من مقام قضايا الواقع التي ترتبط بها أيضا في نظام القضايا . وبامكاننا أن نقول إن الوضعية تقطع رأس الفلسفة . فداخل الفكرة القديمة للفلسفة وهي الفكرة التي تستمدّ وحدتها من الكـلّ الذي لا ينفصم لوحدة الكينونة ، نستشفّ كذلك ترتيبا ذا دلالة للكينونة وبالتالي لقضايا الكينونة .

على هذا النحو بلغت الميتافيزيقا ، وهي علم القضايا القصوى والعليا ، مرتبة «ملكة العلوم» ، التي لا يملك إلا الذهن أن يضفي معناها الأقصى على كل المعارف ، أعني معارف سائر العلوم . وهذه المهمّة أيضا هي التي آل أمرها إلى الفلسفة التي كانت تتجدّد ، بل إنه خيل إليها أنّها اكتشفت الطريقة الكونية الحقّ التي يمكن بفضلها لفلسفة متسقة من هذا القبيل ، بلغت ذروتها في الميتافيزيقا ، أن تنشأ ، على نحو جدي باعتبارها فلسفة خالدة .

إ. هوسرل

أزمة العلوم الاروبية

E HUSSERL,
La Crise des Sciences Europeennes
et la Phénoménologie Transcendantale,
Gallimard, 1976, PP. 13 -14

* * *

النص : 28

الإنسان المعاصر وسلطة التقنية

إنّ الصراع من أجل الوجود ، واستغلال الإنسان والطبيعة قد اكتسبا طابعا علميًا وعقلانيًا متباينا . في هذا السّياق ينبغي إدراة "عمليّة العقلنة" في مدلولها المزدوج . فالتنظيم العلمي والتقسيم العلمي للعمل يزيدان في إنتاجيّة المؤسّسة الاقتصاديّة والسياسيّة والثقافيّة زيادة كبيرة ؛ ونتيجة ذلك تحسين مستوي العيش . وفي الوقت نفسه وعلى زساس المبادئ نفسها أنتج هذا المشروع الأكثر تدميرا واضطهادا . وتقترن المعقوليّة التقنيّة والعلميّة باستغلال الإنسان في أشكال جديدة من الرقابة الاجتماعيّة . فهل نجد لأنفسنا عزاء بافتراض أن هذه النتيجة ذات الصلة الضعيفة بالعلم قد تولّدت عن تطبيق للعلم تطبيقا اجتماعيا مخصوصا ؟ أعتبر أن الاتجاه العام الذي تـمّ في إطاره تطبيق العلم كان تشكّل بعد من الأساس في العلم المحض ، في الوقت الذي لم يكن له فيه أي هدف عملي ...

إنّ الخلفيّة التكنولوجيّة خلفيّة سياسيّة بحكم أنّ تحويل الطبيعة يفضي إلى تحويل الإنسان ، وبحكم أنّ "إبداعات الإنسان" تتأتّى من مجموع اجتماعي وتعود إليه . ويمكن أن نقول دوما إنّ الطابع الآلي للعالم التكنولوجي لا يحفل ، في حدّ ذاته ، بالغايات السياسيّة . فبإمكانه أن يدخل ثورة على مجتمع أو أن يكون سببا في تأخّره .

يمكن لآلة حاسبة إلكترونية أن تخدم إدارة رأسمالية وإدارة اشتراكية ، ويمكن لمفاعل ذرّي أن يكون أداة فعّالة زمن الحرب ، كما يمكن أن يؤدي خدمات زمن السلم . جاء في رأي لماركس كان محلّ جدل ان الطّاحونة اليدوية تولّد مجتمعا إقطاعيا ، في حين ان الطّاحونة البخارية تولّد مجتمعا رأسماليا صناعيًا" وهو رأي يشكك في حياد التكنولوجيـا . وقد تغيّر هذا الرأي ، فيما

بعد ، في النظريّة الماركسيّة نفسها في اتّجاه الإقرار بأنّ النمط الاجتماعي للإنتاج هو العامل التاريخي الأساسي وليست التقنية . إلاّ أنّ التقنية ، عندما تغدو الشكل الكوني للإنتاج ، فإنّها تحدّد معالم ثقافة بأكملها ، وترسم مشروع كليّة تاريخيّة ، إنّها ترسم مشروع "عالم" .

هاربات ماركوز
"الانسان ذو البعد الواحد"
H . MARCUSE , L'homme unidimensionnel
Ed . de Minuit PP . 169-177

document

La peur du progrès scientifique est irrationnelle

La critique du progrès scientifique comprend sa part d'irrationalité. La mise en avant du principe de précaution en est un bon exemple : ce qui fait peur, ici, ce ne sont pas les risques avérés d'une science ou d'une technologie nouvelles, mais précisément l'ignorance où nous sommes de ces risques. Le philosophe Michel Onfray dénonce, dans ce texte, cette éthique de la peur qui a pour effet de retarder tout ce que la science peut apporter au bien-être de l'homme.

Comme dans toutes les périodes de changement, voire de bouleversements majeurs, les angoisses guident le monde et imbibent les commentaires. Elles saturent les avis, les jugements et renvoient plus à l'épidermique qu'au rationnel. Les peurs dues au transgénisme ressemblent à s'y méprendre à celles qui accompagnent la naissance de l'électricité ou du chemin de fer, voire de l'énergie nucléaire – qui, rappelons-le, n'a jamais causé aucun mort : Hiroshima et Nagasaki, puis Tchernobyl procèdent du délire militaire américain, puis de l'impéritie[1] industrielle et bureaucratique soviétique, en aucun cas du nucléaire civil en tant que tel. Le délire généré par les potentialités transgéniques rappelle les grandes peurs consubstantielles aux changements de civilisation. En aucun cas ces réactions névrotiques à notre âge d'angoisse ne remettent en cause intrinsèquement la puissance de la technique et le génie prométhéen du moment.

La médecine transgénique – laissons de côté l'agriculture pour laquelle je défendrais les mêmes thèses… – n'est en soi, en tant que telle, par elle-même, coupable ni responsable de rien. Elle appelle un ensemble de techniques et suppose le travail à partir d'un principe : la possibilité de modifier humainement le codage des gènes afin d'induire la transmission d'un message destiné à produire des effets dans un complexe cellulaire, une fonction biologique ou un organisme. Ni bonne ni mauvaise, elle obéit au régime de la technique en temps normal : ses fins, et rien d'autre, décident du jugement moral possible, condamnation ou éloge. Le pragmatisme seul peut remplacer efficacement l'idéalisme transcendantal qui détermine la pensée dans les mentalités communes.

Intervenir sur le génome humain pour envisager la prévention d'une maladie

1. L'Incompétence.

ou son traitement ne peut déclencher l'opprobre[2] ! Certes les obscurantistes partent du principe – sophiste à souhait ! – qu'on peut ne pas constater effectivement les dégâts aujourd'hui, mais qu'au nom de demain qui sûrement révélera le pire, on doit s'interdire tout progrès sur l'instant. Que l'invisibilité vaut preuve de nocivité. Que l'immatériel pèse plus que le contestable. Que la peur gouverne mieux que la raison. De manière irrationnelle, ils nient la mesure, le comptage, la preuve, le fait, le chiffre, le nombre comme occasions de valider ou non une thèse. Le principe de précaution pose le pire comme certain et contraint à réfléchir en regard d'un postulat gratuit présenté comme une vérité démontrée.

2. La condamnation.

Michel ONFRAY, *Féeries anatomiques. Généalogie du corps faustien*, Grasset, 2003, p. 162-164.

ur aller plus loin

avid BLOOR, *Sociologie de la logique*, Pandore, 1982.
aymond BOUDON et Maurice CLAVELIN, *Le relativisme est-il résistible ? Regards sur la sociologie des sciences*, PUF, 1994.
laude CHRÉTIEN, *La Science à l'œuvre*, Hatier, 1991.
aul FEYERABEND, *Contre la méthode*, Éd. du Seuil, 1979.
ans JONAS, *Le Principe responsabilité*, Flammarion, coll. « Champs », 1998.
lexandre KOYRÉ, *Études galiléennes*, Hermann, 1980.
homas KUHN, *La Structure des révolutions scientifiques*, Flammarion, coll. « Champs », 1983.
runo LATOUR, *Petites leçons de sociologie des sciences*, Éd. du Seuil, coll. « Points Sciences », 1996.
an-Marc LÉVY-LEBLOND, *La Pierre de touche. La science à l'épreuve*, Gallimard, coll. « Folio », 1996.
ucien SÈVE, *Pour une critique de la raison bioéthique*, Odile Jacob, 1994.

document 5.

La science inquiétante

Apportant au scientisme du XIXe siècle un cruel démenti, le XXe siècle a connu des catastrophes humaines inouïes. Les progrès mêmes de la science ne sont plus promesses d'un monde meilleur. Avec la maîtrise de la nature, et surtout de la nature vivante, l'homme contemporain croit pouvoir échapper à la finitude de la condition humaine sans envisager les conséquences futures de recherches dont il est légitime de se demander si les résultats sont désirables. C'est à cette interrogation éthique et critique que convie ici le philosophe allemand Hans Jonas.

• • • Aujourd'hui en revanche, certains progrès de la biologie cellulaire nous font miroiter la perspective pratique de pouvoir contrecarrer les processus biochimiques du vieillissement et de prolonger la durée de la vie humaine, peut-être même de l'étendre pour une durée indéterminée. La mort n'apparaît plus comme une nécessité faisant partie de la nature du vivant, mais comme un défaut organique évitable, susceptible au moins en principe de faire l'objet d'un traitement, et pouvant être longuement différé. Une nostalgie éternelle de l'humanité semble être plus proche d'être exaucée. Et pour la première fois nous avons à nous poser sérieusement la question : « Dans quelle mesure cela est-il désirable ? Dans quelle mesure est-ce désirable pour l'individu, dans quelle mesure pour l'espèce ? » Ces questions touchent à rien de moins qu'au sens entier de notre finitude, à l'attitude face à la mort, et à la signification biologique générale de l'équilibre de la mort et de la procréation. Mais antérieurement même à ces questions ultimes se posent les questions plus pratiques de savoir qui doit bénéficier de la bénédiction apparente : des personnes particulièrement valables et méritoires, ayant un rôle et une importance socials éminents ? Ceux qui ont les moyens de payer ? Tout le monde ? Il semblerait que la dernière réponse soit la seule juste. Mais cela devrait être payé à l'autre extrémité, à la source. Car il est clair qu'à l'échelle démographique le prix pour une extension de l'âge est un ralentissement proportionnel de la relève, autrement dit un apport moindre de vie nouvelle. Le résultat serait une proportion décroissante de jeunes dans une population de plus en plus âgée. Quel bien ou quel

Le Génome, exposition du Musée d'histoire naturelle de New York, 2001.

mal cela représenterait-il pour l'état général de l'homme ? L'espèce y gagnerait-elle ou y perdrait-elle ? Et dans quelle mesure aurait-on *droit* ou tort de barrer la place des jeunes en occupant les postes ? [...]

Allons jusqu'au bout : en éliminant la mort, nous devons également éliminer la procréation car cette dernière est la réponse de la vie à la première et ainsi nous aurions un monde composé de vieux mais sans jeunes et un monde d'individus déjà connus, sans la surprise de ceux qui n'ont encore jamais existé.

Hans JONAS, *Le Principe responsabilité* (1979), trad. J. Greisch, Flammarion, coll. « Champs », 1998, p. 52-53.

3 Biologie et éthique

texte 11

Vacquin. Inquiétante génétique ?

Y a-t-il des limites au projet de maîtriser la nature ? Ce texte pose le problème de la démesure qui semble au cœur des recherches génétiques actuelles. La référence très insistante à l'eugénisme nazi[1] conduit la psychanalyste Monette Vacquin à voir, dans l'idéal d'une maîtrise totale par l'homme de son environnement biologique et même des conditions de son existence biologique, un idéal « totalitaire »[2].

La fonction originaire de la science génétique était d'être un outil pour la compréhension de l'évolution. Voici qu'elle est à la source de mutations imprévues.

1988 : on travaille à la fabrication de bovins – les culards – dans le but d'accroître démesurément les parties arrière de leurs corps, précieuses pièces de boucherie. Mais alourdies par cet arrière-train monstrueux, les pauvres bêtes ne pourront ni se déplacer, ni se reproduire seules. Déjà, des vaches donnent du lait maternisé. Des souris fabriquent de l'hémoglobine humaine. Obtenus par manipulations génétiques, ces nouveaux caractères seront héréditaires. Recouvertes par un discours fonctionnel et utilitariste, de telles manipulations masquent mal, cependant, l'irruption des fantasmes de dédifférenciation[3] dans la réalité, l'abolition des différences de catégories dans la vie psychique.

Ces travaux préliminaires, ou d'autres, demeureront-ils des préludes avant les roulements de timbales de la grande symphonie génétique ? La condition humaine est bien une maladie héréditaire. La modification du patrimoine génétique serait l'expression la plus achevée, et irréversible, du refus de l'héritage, un « bras d'honneur » illusoire adressé à la castration[4]. L'homme silencieux identifié à sa cellule demanderait à l'ADN et le secret de son origine et l'énigme de son destin. [...]

Sans cesse, je me demande comment il se peut qu'à travers le monde occidental une génération de médecins et de chercheurs, nés pour la plupart pendant la guerre et dans l'immédiat après-guerre, militants antifascistes pour un grand nombre, soient en train de donner au monde, comme malgré eux et au rebours de leurs idéaux les plus précieux, les moyens de l'eugénisme au-delà des rêves les plus fous du III[e] Reich. L'exigence de « qualité » de plus en plus raffinée du produit-enfant et la question fondamentale de la biologisation croissante de la paternité évoquent par exemple les souvenirs des *Lebensborn* qui hantent la mémoire collective.

Les *Lebensborn* ? Des camps expérimentaux où les nazis prétendaient fabriquer une race enfin pure. Dans ces haras humains, on croisait de fortes femmes blondes avec des aryens aux yeux bleus. Des enfants naquirent et grandirent, avant que de se perdre, dans l'après-guerre, enfants de rien ni de personne puisqu'ils étaient des enfants expérimentaux. Une question lancinante se pose à moi : pourquoi est-ce à notre génération que « ça » arrive ? Comment en est-on venu là ?

1. C'est-à-dire l'idée d'une sélection des naissances selon des critères conformes à la prétendue « pureté » de la race aryenne.
2. Voir, dans « Les échanges, la société, l'État », le texte 15 d'Arendt, p. 354.
3. Annulation des différences naturelles.
4. C'est-à-dire à l'impuissance sexuelle ou à la stérilité.

Pourquoi la stérilité, pour laquelle la société avait inventé des recours, est-elle devenue, si brutalement, un scandale ? La fécondation in vitro s'est dissociée en quelques années de ce pour quoi elle avait été inventée (le contournement des stérilités tubaires[5]). Le concept d'infertilité se prêtant à toutes les inflations, le champ des indications ne cesse de s'accroître et, succès médiatique aidant, rencontre une faveur insoupçonnée sous la forme de demandes où s'exprime le fantasme de donner la vie sans rapport sexuel.

Monette VACQUIN, *Frankenstein ou les Délires de la raison*, Éd. François Bourin, 1989, p. 197-199.

5. Stérilités féminines liées aux trompes.

texte 12 Dagognet. Le mythe de la nature : éloge de la biotechnologie

Existe-t-il une nature pure de tout artifice humain ? Le philosophe français François Dagognet reprend ici (et à l'encontre du texte précédent) l'inspiration de Descartes appelant de ses vœux une science et une technique pouvant rendre les hommes « comme maîtres et possesseurs de la nature[1] ». Il dénonce comme conservatrice et mythologique l'idée d'une nature originaire à préserver et voit dans le développement de la technobiologie une possibilité heureuse de continuer à transformer le monde dans un sens utile à l'homme.

Le mot « artifice » est un mot malheureux parce qu'il est connoté de manière négative. Mais l'artificiel, c'est l'art. L'homme se reconnaît en son pouvoir démiurgique[2] de tout changer, de tout renouveler, de tout reconstruire. Ceux qui veulent limiter cette prouesse me semblent livrer une bataille perdue d'avance. Il n'y a rien de naturel vraiment. Ce qui nous paraît naturel est bien souvent artificiel. La nature, dans ses formes les plus typiques pour nous, porte l'empreinte de l'homme. La campagne telle que nous la voyons aujourd'hui est le fruit de longues transformations : les champs, les forêts, les sentiers ont été modelés par l'homme. Considérez les fruits et les légumes : ils ne sont pas naturels ; l'agronomie les a sélectionnés, les a croisés pour les améliorer. La révolution verte, en intervenant sur la nature a été très profitable à l'homme et lui a permis d'échapper à bien des servitudes. L'agronome américain Norman Ernest Borlaug, prix Nobel de la paix en 1970, a ainsi pu dénaturer le blé pour le rendre plus résistant à la sécheresse et à des conditions climatiques très difficiles. Grâce à ce blé, des pays quasi désertiques ont pu cultiver le blé et échapper aux disettes. Bénissons donc les artifices. La nature n'a jamais existé sauf comme idéologie pour certains afin de condamner les changements. Que peut-il y avoir de naturel ? L'homme a tout façonné, tout modelé, repris à son compte, assumé, transformé.

Il est certain que l'environnement doit être protégé. Ce serait ridicule de dire le contraire. Mais à partir de là, il faut limiter ce droit au respect des lieux. Certains tombent dans une philosophie de la nature excessive. [...] Je regrette vraiment cette technophobie[3] ambiante.

François DAGOGNET, « Penser le vivant », propos recueillis par Catherine HALPERN, *Sciences humaines*, n° 142, octobre 2003, p. 51.

1. Voir, dans « Science et société », le texte 2 de Descartes, p. 322.
2. Du substantif « démiurge », tiré du grec *dêmiourgos*, « artisan, spécialiste ». Au sens courant, un démiurge est quelqu'un dont la capacité créatrice est considérable. Dans le *Timée* de Platon, le démiurge est le dieu artisan qui a fabriqué le monde à partir des Idées.
3. C'est-à-dire la peur des progrès technologiques.

Pour se préparer au baccalauréat
Dissertations : p. 492.
Explications de texte : p. 493.